

مجلة المجمع العلمي العربي

شوال وذوالقعدة سنة ١٣٦٥

أيلول ونشرين الأول سنة ١٩٤٦

المؤلفون في مصر

كتبت الاجادة في التأليف لاكثر حملة العلم عند العرب من أهل القرن الثاني الى الخامس من الهجرة وكتبت الاجادة لبعض هذه الطبقة منذ القرن السادس الى القرن التاسع . وفي هذه العصور الأخيرة كان عهد المتوسطين بقرائهم وعلمهم والتواضع معددين في كل جيل على أصابع اليد . وبعد العصر التاسع بدأ عصر التقهقر فضعفت اللغة ، وضعفت الآداب وأمت الأقطار العربية في سبات عميق 'تزع من النفوس مضاًوها ومن العقول تفكيرها ، وصار الدور دور المعجزة والأعاجم ، ونشأ من ذلك قلة الدارسين والباحثين والشاعرين والنائرين ودام هذا الانحطاط الى اواخر المئة الثالثة عشرة .

تملقت قدرة المولى تعالى ان يحمل العرب مشعل النور الى العالم بضعة قرون وتعلقت قدرته بعد ذلك ان تقع هذه الشعلة من أيديهم ويتلقفها أهل الغرب . فكان النور قبل العصور الوسطى يحمل من آسيا وأفريقية الى أوربا ، فأصبح بعد ذلك يحمل من أوربا الى آسيا وأفريقية .

ولما كانت النهضة العربية الأخيرة في مصر كان أول ما بدئ به اصلاح اللغة واصلحت القوالب التي يؤدي الكلام بها ، وأخذ التهاء منا عن الغربيين طرقهم في البحث والدرس ، فضعوا الى قديمهم حديثاً طريفاً ، وأخذوا عن جيرانهم ما اشتدت حاجتهم اليه من ثقافة وتدريب .

وما جاءت المئة الرابعة عشرة حتى أخذ التأليف بالعربية ينجم وجهة لم يكن له بها عهد منذ أجيال . وما انسلخ الربع الأول من هذا القرن حتى تبدلت هيئة الكتابة وهيئة الشعر وتبدلت بتبدلها هيئة التأليف . أخذ الناس يحرصون على المعاني والمحسوسات أكثر من حرصهم في القديم على الألفاظ والخيالات . ودالت دولة الاسماج والجناسات التي اخترعتها عصور الانحطاط ، وبكاد يقول من قرأ صفحة كتبت في القرن الثاني او الثالث وعارضها بأخرى كتبت في العصر الحادي عشر والثاني عشر أن اللغة تبدلت معالمها وروحها كل التبدل وخلص الجمهور من معان باردة وافكار مكررة وآداب لا تلبس الحياة في قليل ولا كثير . كان الفضل الأول لايخراج اللغة العربية من الابتذال والركاكة وادخلها في طور جديد تجري فيه مجرى عصور الارتقاء لذلك المعهد العظيم الذي دعوه (دار العلوم) في القاهرة فتخرج بأساتذته أناس تشبعوا بالبيان العربي الصحيح وقلبوا بالتدريج الطريقة المألوفة عند المعاصرين ، وبذلك تغيرت لغة الخطب والصحف والكتب والمحاكم والمعابد . ومن عارض بين كتابة أواخر المئة الثالثة عشرة وكتابة النصف الثاني من القرن الرابع عشر يتمثل لتأخر الفرق العظيم بين لغة تموت ولغة تحيا ، وبين بيان مضغوط بالمحسنات اللفظية وبين بيان حي سالم من كل تزبد وفضول .

فصحت دعوانا والأمر على ما ذكر أن التأليف التي صدرت في الربع الثاني من القرن الرابع عشر أرقى من التأليف التي وضعت منذ القرن التاسع الى أواخر الثالث عشر في مصر وبلاد العرب ولا عبرة بالشواذ . والسر الأعظم في

هذه الاجادة يعود لاصلاح اداة التأليف كما قلنا ، ولسلامة اداة التفكير من التلوي والتعقيد ، وكانت من أثر ذلك ان طلق المؤلفون الموضوعات التافهة التي لا كتبها الا لسن كثيراً ، وتشبهوا بايجاز المفيد منها ، وأنوا الامة بأشياء جديدة ماعرفوها ، واصبح المؤلف لا يلخص الا بعد بحث ، ولا بدون إلا بتخصيص ، ويرتز على كل حال في ابراز الأفكار القديمة والحديثة في قالب مقبول من الرشاقة والجزالة . ولا انغالي اذا قلنا ان التأليف في هذه الحقبة انقلب رأساً على عقب بلغته وأفكاره وان التأليف التي كتبت بركاكة أواخر القرن الماضي واوائله تكاد لا تجد من يعطف عليها واكثرها حربة بأن تكون صوراً ولغائف كالجزائد القديمة .

عارضوا كل ما كتبه الشيخ محمد عبده في رسالة التوحيد وتلميذه الشيخ احمد ابراهيم في كتبه الفقهية وما كتبه في هذين الموضوعين من تقدم وهما في عصور الانحطاط تجدوا الفرق عظيماً بين من استجمعوا ادوات التأليف كلها وبين من لم يستجمعوها . والناقد البصير يدرك لأول نظرة ان ما كتبه محمد نجيت من شيوخ الأزهر على كثرته محكوم عليه بالعمى لأنه خلا من روح العصر ومن بلاغة العصر ، وعرا من جمال الأسلوب وجودة التأليف إلا قليلاً . أما ما كتبه محمد عبده على قلته وهو من شيوخ الأزهر أيضاً فانه خالد لأنه كتب ورائده البلاغة وسلامة الفكر ، وكذلك نال في كتاب الاسلام وأصول الحكم اعلى عبد الرزاق فان هذه الرسالة تبقى لأنها كتبت في موضوع مهم بلغة العصر الحديث وعلى أسلوب تفكير أهله . وليست منفعة التأليف بكثرة صفحاتها وتعدد مجلداتها ، فقطعة الذهب تساوي مئة ضعف من وزنها حديداً . ورب رسالة محكمة خلد بها امم صاحبها وكم من مجلدات سقيمة هبت مع الزمن منسية . والمكثار لا يأمن العثار على كل حال .

ان ما كتبه قاسم امين في (تحرير المرأة) و(المرأة الجديدة) وعبد الرحمن الكواكبي في (طبائع الاستبداد) و(أم القرى) وحافظ عفيفي في (على هامش

السياسة) و (الانكاز في بلادهم) و ابراهيم المويلحي (فيما هنالك) و محمد المويلحي (في حديث عيسى بن هشام) و محمد علي علوبة في (السياسة المصرية) قد يعمّر ويفيد أكثر من مجلدات ضخمة كتبها محمد نجيت و طنطاوي جوهرى و يوسف النبهاني و اخرائهم فمن لم يهضم موضوعه لا يرتجى من الناس ان يهضموه ، ومن لم يتعب في اعداد عدته قلما يقبل قومه على اقتنائها .

اما بعد فان اللغة العربية لغة ايجاز ، ولا سلطان على عقول أبنائها أعظم من العبارات الموجزة وهذا العصر الذي نعيش فيه هو أيضاً عصر ايجاز واختزال يملأ أهله التطويل بلا طائل ، ويكرهون التزبد في غير محله . ولو كتب كاتب من أهل العصر الماضي ما كتبه طه حسين في تاريخ (الأدب الجاهلي) و (على هامش السيرة) وفي (الايام) لكتب أوفى من الصفحات وما أغنى غناء طه ولا ابدع ابداعه . ولو ألف مؤلف قبل مئة سنة ما كتبه احمد امين في (فجر الاسلام) و (ضحى الاسلام) و (ظهر الاسلام) ما كتبت له هذه الاجادة . ولو تم المنهاج الذي وضعه مع زميله طه حسين وعبد الحميد العبادي على ان يكتب طه الحياة الأدبية في الاسلام كما كتب احمد امين الحياة العقلية و يكتب العبادي الحياة السياسية لكان فجر الاسلام وضحى الاسلام وظهر الاسلام وثم عصر الاسلام اعظم معلمة عربية في هذا الموضوع لأن هؤلاء الثلاثة المؤلفين رزقوا حظاً عظيماً من البلاغة وعرفوا اساليب الغرب والشرق في التأليف وطرق الافادة .

و كتبت الاجادة في التأليف للعقاد والمازني وعنان على كثرة ما اقتبوا ونشروا . ويعود قسم وافر من الفضل في اجادتهم الى تشبعهم باللغات الغربية والأدب العربي . واكبر الظن ان لكثرة التمرين دخلاً كبيراً في هذا الاحسان . وقل ان كتبت الاجادة لمثل العقاد على كثرة ما خاض عبابه من الموضوعات السياسية والاجتماعية والفلسفية والأدبية والفصصية ، وقربنه في كثرة الانتاج محمد لطفي

جمعة الا ان الرشاقة قد تخطئه لأنه نشأ مترجماً عن الانكليزية فأضعف النقل من ملكته . أما العقاد والمازني فقد نشأ نشأة أدبية وكان لهم في الشعر أيضاً فضلاً عن النثر يد طولى . ويكثر المؤلفون المحسنون في بيانهم بين طلاب دار العلوم والمعلمين العليا ومدرسة القضاء الشرعي (الملقاة) أكثر من أمثالهم في الأزهر والجامعة المصرية والجامعة الأميركية .

كان لكثير من المؤلفين يد باسطة في التعريب أكثر مما كان لهم في التأليف ، وفي مقدمتهم احمد فتحي زغلول واحمد لطفي السيد . يعقوب صروف وابراهيم مصور ونجيب شاهين ومحمد السباعي وفريد ابو حديد واحمد حسن الزيات ، وهذا اجاد في تعريب (رافائيل) للامرتين (وآلام فرتر) لجوته ، والزيات يبالغ في تضييق ما يكتب فيجمع بين ادب العصر واسلوب البديع والخوارزمي والصائي وهو سواء ومصطفى صادق الرافعي ومصطفى لطفي المنفلوطي وعبد العزيز البشري يتشابهون في طريقةهم ويمتاز الأخير بأسلوبه الخاص به اسلوب الهزل في الجد . وكتابه (في المرأة) الذي ترجم فيه لمعاصريه من المصريين على نهجه الخاص به في السخرية لو خلا من مصالعة بعض من كانوا يوم كتبه من الصدور لكاف من أجل الكتب في بابيه . وأحسن أيضاً في كتابه (المختار) وهي مقالاته التي نشرها في مناسبات مختلفة ومن أهم ما ساعد على اجاته أكثر الأوقات احاطته بحياة كبار المصريين وصغارهم فهو قاهري بعرف ما في القاهرة من سر وجهر ويمسح عرض أدب المجالس ويورد النكتة صائفاً لها صياغة أدبية بدخل بها المرح على القلوب . والمجودون في هذا الباب قلائل وما ذاك لأن الجد غالب على المؤلفين بل لأن الهزل صعب المراس على التدوين . وكان عبد الله نديم وروفايل بن صفوع (ابونضارة) وابراهيم المويلحي من أول من خطا في هذا العصر خطة الهزل في الجد فتذوق معاصروهم هذا النمط من الكلام ، وكان البشري أحد أساطين هذا الهزل المحبوب لهدنا وكان مع صديقه محمد البايلي وحافظ ابراهيم من أعظم رجال هذا الشأن .

ومن تلاميذ دار العلوم الذين برزوا في التأليف حفي ناصف واحمد الاسكندري
ومحمد الخضرى وعبد العزيز جاويش وعبد الوهاب النجار وضرباؤهم واكثرهم من
المقلين لأن تماطي اكثرهم التدريس طول حياته العملية قطعه عن التأليف بعض
الشيء ولكنهم أجادوا فيما نشره للناس فيمكن ان يقال ان علمهم أكثر من
عملهم وانهم عاشوا للتوظيف لا لأنفسهم . وعلى هذا النحو يمكن القول فيمن
لو تفرغوا للتأليف لبرزوا كل التبريز امثال مصطفى المراغي احمد حسنين علي ماهر
بهي الدين بركات علي زكي العراقي محمد حلمي عيسى محمد علي علوبة محمود ابو العيون
مصطفى عبد الرزاق منصور فهمي مظهر سعيد عبد الرزاق السنهوري سفي اللقاني
محمد احمد الغمراوي احمد فهمي العمرومي عبد الله عفيفي الطون زكري ابراهيم
مصطفى توفيق اسكاربوس عمر لطفي رزق الله منقربوس .

فان هؤلاء وامثالهم من الأحياء ابانوا بالقليل الذي نشره عن كفاية تامة
اما من الأموات فاحمد شفيق وتوفيق البكري عبد الحميد البكري عبد القادر
حمزة علي يوسف علي بهجت اسماعيل رأفت ، محمد توفيق صدقي ، ابراهيم رفعت ،
علي ابو الفتوح ، اسماعيل حسنين ولي الدين يكن ، حسن منصور ، حين توفيق ،
امين سرور ، محمد فريد ، مصطفى الدمياطي ، محمود مصطفى .

ومن المؤلفين المجهودين احمد كمال الأثري ، محمود سامي البارودي ، حافظ
ابراهيم ، احمد شوقي ، اسمعيل صبري وهؤلاء الأربعة انبغ شعراء مصر في هذا
العصر واحمد تيمور (باشا) ، واحمد زكي (باشا) واحمد زكي (الدكتور)
علي مصطفى ، مشرفة محمد ، مسعود حافظ عوض ، عبد الرحمن الرافعي ، عبد الوهاب
عزام ، محمد عوض محمد ، محمد حسين هيكل ، محمد ثابت ، اسماعيل مظهر ، مصطفى
كامل ، محمد دياب ، سلطان محمد ، عبد الرحمن الجزيري ، احمد عبد السلام الكرداني
حسن السندوي ، محمود عمرنوس ، زكي نجيب محمود ، محمود الخفيف ، محمد خالد حسنين
عبد العزيز الحلوي ، سعيد العربيان ، محمد عبد الغني ، حسن محمد بدران ، امين

مرمى قنديل ، محمد محي الدين عبد الحميد فكري اباطلة ، احمد الزين احمد فريد
الرفاعي محمد فهم عبد الرحمن البرقوقي .

ومن ألفوا في العلم والطب والاجتماع والتاريخ والآثار والفقہ احمد عيسى
احمد الشايب زكي مبارك احمد ضيف شوقي ضيف احمد الحسيني عبد الرزاق
السنهوري امين واصف مصطفى زيادة امير بقطر توفيق حبيب اسعد داغر زكي
حسن فرنسيس ميخائيل يعقوب قام عزيز خاني حسن ابراهيم حسن سلامة موسى
يوسف كرم ابراهيم مدكور عبد الهادي ابوريدة مصطفى عناني احمد محمد شاكر
ومحمود محمد شاكر احمد زكي ابوشادي محمد امين حسونة وفريد وجدي وهذا
أجاد في الرد على الماديين اجادة حسنة واجادته قليلة في الكتب الكبيرة
الحجم التي كتبها وقد بدت عليها العجلة ولم يفاهر الدرس والبحث فيها كثيراً
فالآثار اضره بعمل هذا المؤلف النشيط العالم . وارجو ألا يكون كذلك حال
المؤلف امين سامي فاني لم يسمعتني الحظ بقراءة ما كتب ، ورجال الرأي يجمعون
على انه من أعظم المؤلفين .

وطرس الأدب العربي الحديث على اثر الأدب الغربي فكان من مستلزمات
ذلك ان يستخدم القصة للتعليم والتسلية والعبث على أساليب الفرنج في هذا الضرب
من الأدب ، فن المجودين في الروايات التمثيلية شوقي والعقاد ومن المجودين في
القصة المنشورة توفيق الحكيم ومحمود تيمور فالأول تلمح فيما كتب صورة من
صور الغرب أكثر مما تحمل كتابته روح الشرق ، وفي قصص الثاني تمثل لك
الروح المصرية الشرقية وهناك غيرهم من كتاب القصص واكثرهم نقلة ومعرّبون
لم أعرفهم اما لأنني ضعيف الولوج بالقصة او لأن ضعف الكتابة فيما وضعوا
وترجموا حال دون اعطاء الحكم فيهم .

ويكثر فيهم المؤلفون الذين وضعوا كتباً مدرسية للمدارس الابتدائية
والثانوية وبعضهم اشتركوا مع زملائهم في وضعها وقد تجد كتاباً ليست له مكانة

كبرى تعاور تأليفه بضعة مؤلفين واظن الداعي الى ذلك الكسب لأن هذا النوع من الكسب يربح أرباحاً طائلة خصوصاً اذا كان له في وزارة المعارف من يساعد على انتشاره .

وهناك عشرات من المؤلفين الذين كانوا من أصل سوري فزّلوا بمصر وظهر فيها فضلهم ومنهم من قصّر وتعلّى بالجنسية المصرية ومنهم من تعاطوا الطب والحمامة والصحافة والوظائف فما انتجوا كثيراً لأن طبيعة أعمالهم اليومية حالت دون ما قد يشتهون تدوينه لنفع الناس . فمن هذه الفئات يعقوب صروف فارس نمر شلي شميل خليل مطران عزيز خانكي نجيب حداد امين حداد محمد رشيد رضا رفيق العظم داود يركات خليل ثابت انطون الجليل نعوم شقير سعيد شقير جرجي زيدان محب الدين الخطيب فؤاد صروف وغيرهم .

بقي ان اقول ان هناك عشرات من المؤلفين لم تواتني الأيام ان اشرف بمعرفتهم او استفيد من علمهم في كتبهم وذلك لأن كتبهم لم تشتهر الشهرة التي تستحقها او انهم خاضوا من العلم فروغاً لم اعرفها . وأنا لم أتكم إلا على المؤلفين الذين عرفتهم وطالعت كتبهم مستحسنين او ناقدين . ولم اقصد بهذه المجالة الحصر فالحصر يحتاج الى نفس أطول . وما زلت شهد الله منذ عرفت مصر اتعرف الى كثير من المقهورين وأعتقد ان بعضهم لو نظّموا أوقاتهم بنظام جيد عن الفوضى الاضطرابية أحياناً لاشتهروا في الأقطار بما يوازي مكانتهم الأدبية والعلمية . واني أمثل لذلك بأربعة فقط عملت معهم في مجمع اللغة العربية بمصر وهم حسين والي واحمد العوامري وعلي الجارم ومحمد احمد جاد المولى فقد اعجبت بما انطوا عليه من علم غريز في آداب العربية ومعرفة دساتيرها وأمرارها بيد ان ما نشره للناس اقل مما كان يرجى منهم . وما علت ذلك الا بأنهم صرفوا جزءاً عظيماً من أعمارهم في التدريس أو الاستخدام فضاقت أوقاتهم عن الاتساع لغيره من الأعمال الكبرى . نعم تخرج بهم كثيرون ولكن لم يتجاوز أنوار معارفهم البيئة التي اضطربوا فيها . ومن المتعذر ان يحوز الفرد كل المزايا فالخاصر غير الخطيب

والكاتب غير الشاعر والمؤلف غير المدرس والصحافي غير السيامي ولا عبرة بالشواذ .
 واكبر الظن ان علة ذلك كله تفضيل الناشئين العيش الهنيء المضمون في
 أبواب الحكومات وابشارهم له على الصناعات الحرة التي يسرح صاحبها ويمرح على
 هواءه ويحمل وحده تبعة اعماله . ولو ضعفت شهوة الاستخدام في بعض النفوس
 المصرية ربما زاد عدد الباحثين المجودين وتضاعفت جمهرة من ينفع الناس منهم
 نفعاً عاماً وربما كان تغير بذلك وجه المدينة العربية . والأُمم التي تعلق كل مجد
 لها على حكوماتها فقط يكون حظها من الحضارة محدوداً بخلاف الأُمم التي
 يعول بنوها على الاستقلال في الأعمال وتتفزز نفوسهم من الاتكال . وليس
 من الغرابة في شيء ان يكون معظم مؤلفي مصر في هذا العصر من الذين اتصلوا
 بالحكومة مباشرة وقل ان رأينا ذا نعمة وسعة من العيش حاول نفع الناس
 بقلمه وبيانهم الا ثلاثة عظماء من أمراء البيت العلوي الكريم وهم الأمراء
 عمر طوسون وبوسف كمال ومحمد علي توفيق فكاتب الأول في تاريخ مصر الحديثة
 كتاباً مفيدة جداً ووضع الثاني سفرأ غائباً سماه المجموعة الكالية ضمنه جميع
 ما كتب في جغرافية افرريقية باللغات القديمة والحديثة انفق عليه نحو خمسين الف
 جنيه مصري وصدر منه الى الآن ثلاثة عشر مجلداً طول الواحد نحو متر .
 وكتب الأمير الثالث رحلاته الى انحاء العالم الشرقي والغربي فجود بها وأفاد .
 هذا وقد يتساءل بعضهم فيقول اليس في كل هذا الرعيل من الرجال سيدات
 جارين الرجال في التأليف في مصر على عهدها الأخير فالجواب نعم ان منهن اليوم
 من هن موضع العجب فن عهد عائشة عصمة التيمورية الى زينب فواز وملك
 ناصف (باحثة البادية) الى ماري زيادة (محي) الى نور الحكيم الى ناطلة الحكيم الى
 زينب الحكيم الى انصاف فهمي الى احسان احمد القوسي الى سهير القلماوي الى
 امينة سعيد الى غيرهن من المؤلفات نرى طبقة ضاقت الرجال باخراجها ثمرات
 عقولها للناس وسيخرج من النساء عدد أكبر في الجيل المقبل .

الغزالي وزعماء الفلاسفة

١ - تمهيد عام

لتطور الأفكار في تاريخ البشرية قانون عجيب يمكننا ان نسميه قانون التضاد او قانون التناوب في التهالك . وهو يدل على أن كل مذهب من المذاهب سياسياً كان او فلسفياً ، يهد السبيل لظهور ضده .

والسبب في ذلك أن في الطبيعة البشرية نزعات متضادة كالميل الى التفاؤل والتشاؤم ، والميل الى الرخاء والتعسف ، والميل الى الحياة الروحية والمادية .

فاذا سلكنا طريق نزعة من هذه النزعات وبالفنا في ارضائها أدى تهالكنا في ذلك الى إحياء ضدها . ان المبالغة بعض الناس في التفاؤل تدفع بعضهم الآخر الى التشاؤم ، كما ان التهالك في محبة الجديد يوقظ في قلوب الناس محبة القديم .

وما ينطبق على تباور الميول والنزعات يصدق أيضاً على تطور الأفكار .

فاذا انكشف للمفكر مذهب جديد بحث أولاً عن أصوله ، ثم رتبها وهدبها ، ثم بالغ في استخراج النتائج اللازمة عنها . واذا لم يبالغ هو نفسه في النتائج قام اصحابه من بعده وبالقوا فيها . حتى يجيء مفكر جديد يصعب عليه التسليم بنتائج ذلك المذهب فيعود الى الأصول وينتقدها ، ثم يصوغها في قالب موافق لنزعة الجديدة . ان المبالغة في النتائج اللازمة عن مذهب (ديكارت) و (لبنيز) أدت الى المذهب الخيالي وفسحت المجال لظهور المذهب التجريبي . كما ان المبالغة في المذهب التجريبي أدت الى الريبية ومهدت السبيل لظهور المذهب الخيالي . وهكذا تدور رحى الآراء والمذاهب حول قطبين متضادين ، وينتقل ميزان الفكر من طرف الى آخر حاملاً الى كل طرف مارجه من حركته الاولى . فكان تاريخ الأفكار مسرح يمثل عليه كل مفكر دوره ، وكانت العقل البشري لا يحب الا المآسي .

مثال ذلك ان مذهب سقراط في الأخلاق كان مشتملاً على نزعيتين متضادتين أدت المبالغة في كل منهما الى ظهور مذهبين مختلفين هما السيرينائية والكلبية . فأصحاب المذهب الأول كانوا يقررون أن السعادة في اقتناص اللذات . واصحاب المذهب الثاني كانوا يعتقدون ان الفضيلة في التقشف واحتقار التقاليد الاجتماعية والتحرر منها . ثم تولد من هذين المذهبين مذهبان آخران هما الاليةورية والرواقية ، كان القائلون بكل منهما بتهالكون في الدفاع عن آرائهم والرد على مخالفتهم ، السابقون يضعون أساس البناء ، واللاحقون يهدمون ، وفي تهديمهم هذا اصلاح لأصول المذهب ، واستئناف لآنشائه .

ومن الأمثلة الدالة على ذلك ايضاً رد (ارسطو) على كل من قبله من الفلاسفة حتى على استاذة افلاطون . ورد مفكري الاسلام منذ اتصالهم بالفرس واليونان على الثنوية والدهرية . فقد كان ابو الهذيل العلاف وابراهيم النظام يستعينان بالفلسفة للرد على اعداء الدين . وكان الفلاسفة انفسهم يقتبسون من العقائد الدينية بعض مبادئهم ومقدماتهم ، حتى اصبحت المذاهب الفلسفية في ذلك العهد اشبه شيء بالمذاهب السياسية ، لا بل بالأدوار المسرحية . لكل مذهب زعماءه ورؤساؤه ، كلما ظهر مذهب جديد انبرى فريق من المخالفين للرد عليه . والسبب في ذلك ايضاً ان كلام المترجمين الذين نقلوا كلام أرسطو الى اللغة العربية لم يخل من التحريف والتبديل ، حتى أثار ذلك نزاعاً شديداً بين الشارحين . وكان أقدم الفلاسفة بالشرح والتحقيق ابو نصر الفارابي وابن سينا حتى سمي الأول بالمعلم الثاني ، وسمي الثاني بالشيخ الرئيس فانتشر بهما مذهب الفلاسفة وتهالك الناس في اتباعه . فلا غرو اذا اطلق الغزالي عليها وعلى اصحابها اسم زعماء الفلاسفة وانبرى للرد عليهما في كتاب التهافت ، وزعم انه كشف عن فنون ما اتخذتا به من التضليل والتحييل ، وانه برده عليهما انما ردة في الوقت نفسه على كلام أرسطو . وكما رد الغزالي على الفارابي وابن سينا فكذلك رد ابن رشد على الغزالي في كتاب تهافت التهافت :

ان تهافت الناس على الفلاسفة ادى الى حملة الغزالي عليهم كما أن إعجاب الناس بكتب الغزالي دعا ابن رشد الى تقدها . وهكذا لم تزل أبدأ حال الفلاسفة بعضهم مع بعض ، اذا عظم أمر أحدهم ، وأخذ الناس في اتباعه ، تصدى له فربق من المخالفين وحملوا الناس على استنكار مذهبه .

٢ - أسباب حملة الغزالي على الفلاسفة وغايتها

ونريد الآن ان نبحث في الحملة التي شنها الغزالي على الفلاسفة ونبين أسبابها وغايتها وأثرها في تاريخ الفلسفة العربية .

أما أسباب حملة الغزالي على الفلاسفة فترجع الى ما شاهده في زمانه من اضطراب الفرق وتعدد المذاهب والطرق ، والتحلال العقائد الدينية . فقد قامى الغزالي من جراء ذلك آلاماً نفسية عظيمة ، وحاذر ان يقضي هذا الاضطراب على العقائد الاسلامية ، فتدب نفسه الذب عن حياض الدين ، واراد ان يكون اماماً مرشداً ومصلحاً دينياً ينقذ اخوانه مما غرقوا فيه من الضلالة . فنحاض في ذلك كما يقول^(١) «خوض الجسور» لاختوض الجبان الحذور» . متفحصاً عن عقيدة كل فرقة ومستكشفاً أصرار كل طائفة ، لا يفادر باطنياً الا ويجب ان يطلع على بطائنه ، ولا ظاهرياً الا ويريد ان يعلم حاصل ظهارته ، ولا فلسفياً الا ويقصد الوقوف على كنه فلسفته ، ولا متكلماً الا ويجهتد في الاطلاع على غاية كلامه ومجادلته^(٢) . فألف في الرد على مذهب التعليم كتاب المستناري وكتاب حجة الحق وكتاب مفصل الخلاف ، وكتاب القسطاس وغيرها وألف في الرد على علماء الكلام كتاب الجمام العوام عن علم الكلام ، وألف في الرد على الفلاسفة كتاب الزهافات .

ولكن الفلاسفة كانوا في نظر الغزالي أشد خطراً على الدين من غيرهم لما غلب على الناس من حب كتبهم وحسن الظن في علومهم . فهم قد أرادوا أن

(١) الغزالي ، المنقذ من الضلال ، ص - ٦٦ طبعة مكتب النشر العربي بدمشق .

(٢) من المنقذ باختصار ص - ٦٦

يزنوا كل شيء بميزان العقل وان يوفقوا بين الحكمة والشريعة ، فكان الدين في يدهم آلة خادمة للفلسفة حتى تقاف أمرهم وبالغوا فيما ارادوه ، واصبحوا خطراً على الدين والاخلاق .

أما خطرهم على الدين فيرجع الى انهم اعتقدوا في انفسهم كما يقول الغزالي التميز على أنراهم ونظرائهم فرفضوا وظائف الاسلام والعبادات ، واحتقروا شعائر الدين واستهانوا بالشرع وحدوده ، وكان مصدر كفرهم بزعمه انهم سمعوا باسماء هائلة كسقراط وبقراط وافلاطون وارسطو وأمثالهم واطلعوا على مبالغة متبعيهم في وصف عقولهم وحسن اصولهم ودقة علومهم الهندسية والمنطقية وحكايبتهم عنهم انهم مع رزانة عقولهم وغزارة فضلهم منكرون للشرائع والنحل ، جاحدون لتفاصيل الأديان والملل ، معتقدون أنها نواميس مؤلفة وحيل مزخرفة فتجملوا بالكفر واطهروا التكليس في تقليد الباطل قال الغزالي :

«ولما رأيت هذا العرق من الحماقة نابضاً على هؤلاء الأغبياء ، انتدبت لتحرير كتاب التهافت رداً على الفلاسفة القدماء ، مبيّناً تهافت عقيدتهم ، وتناقض كلماتهم فيما يتعلق بالالهيات ، وكاشفاً عن غواض مذاهبهم التي هي على التحقيق مضاحك العقلاء»^(١) .

ولا شك ان المعجب بأقوال الفلاسفة في المنطق والزيابضيات يظن كما يقول الغزالي ان جميع علومهم في الوضوح ووثاقة البرهان هي كهذين العلمين ، ثم يسمع بعد ذلك اشياء كثيرة عن كفرهم وتعطيلهم ونهاونهم باشرع فيقلدهم ويقول : لو كان الدين حقاً لما اختفى على هؤلاء مع تدقيقهم في هذا العلم . دع ان الجهال من اصدقاء الاسلام يكذبون كل ما جاء به الفلاسفة ويقولون انه مخالف للشرع مع ان الذي يقرأ العلوم الثابتة بالبرهان لا يشك في تلك العلوم ، بل يشك في مكذبيها وبسوء ظنه فيهم .

وأما خطر الفلاسفة على الأخلاق فيرجع الى انهم أهملوا أحكام الشريعة ، فشرّبوا الخمر وأعرضوا عن الصلاة وقالوا مع ذلك أنهم ادرّكوا حقيقة النبوة وعلّموا ان حاصلها يرجع الى الحكمة والمصلحة ، وان المقصود من تعبداتها ضبط عوام الخلق وتقييدهم عن الاسترسال في الشهوات ، فاذا ترفع الانسان عن طبقة العوام سقط عنه التكليف ، وكشف عنه الغطاء ، وأصبح بصيراً بحكمته . وإنك لتجد بعضهم كما يقول الغزالي^(١) يقرأون القرآن ويحضرون الجماعات والصلوات ويعظمون الشريعة بلسانهم . وهم مع ذلك لا يتركون فسقهم وفجورهم ، « حتى ان ابن سينا ذكر في وصية له انه عاهد الله على كذا وكذا ، وان يعظم الأوضاع الشرعية ولا يقصر في العبادات الدينية ، ولا يشرب تلهياً ، بل تداوياً ، وتشافياً ، فكان منتهى حاله في صفاء الايمان والتزام العبادات ان استغنى شرب الخمر لغرض التشفي^(٢) » . وفي هذا السلوك كما يرى الغزالي خطر على اخلاق الناس .

ولم تكن غاية الغزالي من نقد آراء الفلاسفة سلبية ، بل كانت غاية ايجابية . فهو لم يهدم البناء الذي اقامه الفلاسفة على اساس العقل الاليني ، صرحاً جديداً على أساس الكشف الباطني والوحي القلبي . فشك في علم الكلام ، وشك في مذهب التعليم ، وشك في الفلسفة ، وشك في العقل ، وانحلت عنه رابطة التقليد وطلب العلم اليقيني ، « وهو العلم الذي ينكشف فيه المعلوم انكشافاً ، لا يبقى معه ريب ولا يقارنه امكان الغلط والوهم^(٣) » ، فوجد علومه غير متصفة بهذه الصفة . وطمع في اقتباس اليقين من الحسيات . فلما تأملها لم تسمح له نفسه بتسليم الايمان فيها ، لأن حاكم العقل كثيراً ما يكذب حاكم الحس ويخونه ويبطله . فلما بطلت ثقته بالحسيات تأمل الضروريات العقلية ، وكاد يثق بها لولا اعتراض الحسيات وقولها لعل وراء ادراك العقل حاكماً آخر ، اذا تجلّى كذب العقل في حكمه كما تجلّى حاكم

العقل فكذب الحس في حكمه . ويمكن ان تطرأ على الانسان حالة تكون نسبتها الى العقل كنسبة اليقظة الى النوم . فالعقل يكذب الحس والحس يكذب العقل كأن هناك مأساة جدلية محزنة ، تظفر فيها العقليات على الحسيات ثم تعود الحسيات فتتغلب بمجدها على العقليات . ولو استسلم الغزالي لهذا الجدل لبقى على مذهب السفسطة ، ولكانت غايته سلبية محضة . الا انه استطاع ان يخرج من الشك عن طريق الكشف الباطني والحدس الديني فعادت نفسه الى الصحة والاعتدال ورجعت الضروريات العقلية موثوقا بها على أمن ويقين ، لا بدهاة العقل كما فعل (ديكارت) ولكن بنور قذفه الله في الصدر ، وذلك النور في نظره مفتاح اكثر العلوم .

وما هنا مسألة لا بد من الاشارة اليها وهي ان الغزالي لم يحمل على الفلاسفة لعجزهم في الالهيات عن الوفاء بالبراهين التي اشترطوها في المنطق ، بل هدم آراءهم ليظهر عجز العقل عن الخوض في مسائل ما بعد الطبيعة . نعم انه يقول في بيان اسباب حملته على الفلاسفة انهم ما قدروا في الالهيات على الوفاء بالبراهين التي اشترطوها في المنطق^(١) ، « وانهم يحكون بظن وتخمين من غير تحقيق ويقين ، ويستدلون على صدق علومهم الالهية بظهور علومهم الحسابية والمنطقية ويستدرجون ضعفاء العقول . ولو كانت علومهم الالهية متقنة البراهين نقية عن التخمين كعلومهم الحسابية لما اختلفوا فيها »^(٢) . « وان ما شرطوه في صحة مادة القياس في قسم البرهان من المنطق وما شرطوه في صورته في كتاب القياس ، وما وضعوه من الاوضاع في « ايساغوجي » و « قاطيغورياس » لم يتمكنوا من الوفاء بشيء منه في علومهم الالهية »^(٣) . وهذه الأقوال تدل بحسب الظاهر على ان الغزالي يؤمن بأحكام العقل ويعتمد على البراهين المنطقية وأنه لم ينتقد الفلاسفة الا لعدم وفائهم بشروط البرهان المنطقي في مسائل ما بعد الطبيعة ، فأحكام العقل صادقة ، الا

(١) للفتن من الضلال ، ص (٢) تهافت الفلاسفة ، ص ٨ (٣) التهافت ، ص ٦٦ .

ان الفلاسفة اساؤا استعمالها ، وخالفوا شروطها . ولو وفوا بهذه الشروط لسلموا من انتقاده اللاذع . ولكن من قرأ كتاب التهاافت وتصفح المسائل التي أوردها الغزالي في الرد على الفلاسفة لم يشك أبداً في موقف الغزالي من العقل في علم ما بعد الطبيعة . فهو لم يحمل على الفلاسفة لتقصيرهم في الوفاء بشروط البرهان فحسب بل هاجمهم ، كما فعل ابن خلدون بعده ، لتهديم صرحهم الفلسفي من أساسه ، معتقداً أن أحكام العقل صادقة في الرياضيات والمنطقيات والطبيعيات اما في علم ما بعد الطبيعة فان العقل المحض عاجز عن الوصول الى اليقين ، وسيتضح لنا هذا الأمر عند استعراض بعض المسائل التي كشف الغزالي عن تناقضها الداخلي وهي كلها تدل على ان الغزالي لا يقتصر على تعجيز الفلاسفة عن اقامة الدليل وتخطيئهم في البرهان فحسب ، بل تشير الى ان مسألة الصفات الالهية ومسألة ازلية العالم وابدنيه ، ومسألة استحالة الفناء على النفوس البشرية وغير ذلك من المسائل ، لا توزن بميزان العقل البشري ، بل يحتاج العقل في ادراكها الى عامل آخر هو الكشف الباطني والايمان القلبي والوحي الديني .

٣ - طريقة الغزالي في الرد على الفلاسفة

اما طريقة الغزالي في الرد على الفلاسفة فتشبه رد رؤساء المذاهب او زعماء الأحزاب على آراء مخالفينهم . فهو ينتقد أدلة الفلاسفة كما ينتقد الصيرفي الماهر الدرام الزائفة . ويخرج منها الزيف وغير الصحيح من الفاسد ، حتى لقد أظهر في ذلك حذقاً لا مثيل له في تاريخ الفكر العربي . لم ينتقد الغزالي مذهب الفلاسفة انتقاداً عاماً مبهماً كما يفعل النقاد في أيامنا هذه ، بل انتقده انتقاداً عميقاً منظماً . فحدد المسائل التي خالف فيها الفلاسفة عقائد الاسلام ، ففندها واحدة واحدة ، وانتقد ما فيها من جهات الضعف . ومن اجل الرد على الفلاسفة قرأ الغزالي مذهبهم وآلف فيه كتاباً وجيزاً سماه كتاب المقاصد ، نظر فيه نظر الباحث الذي يقرر لمسائل ويحكمها على وجهها ، غير متعرض لما فيها من حق أو باطل . والسبب

في ذلك انه لم يرض لنفسه ان يظن به الغفلة عن أصل حجة الفلاسفة ، فلذلك قررهما الى أقصى حدود الامكان ، ثم عاد الى ذلك في كتاب التهافت ، فأفرد لكل مسألة من المسائل بحثاً خاصاً . ومن قرأ كتب ابن سينا وقرأ بعدها كتاب التهافت اعجب بقدرة الغزالي على عرض المسائل وايضاحها . وربما كانت قراءة كتاب التهافت ضرورة لكل من أراد ان يفهم مذهب ابن سينا . فهو قد قرر حجة الفلاسفة بلغتهم واصطلاحهم وهجر في رده عليهم الفاظ المتكلمين والاصوليين ، بل اوردها كما يقول بعبارتهم في المنطق ، ودخل عليهم في ذلك كله دخول مطالب منكر لا دخول مدع مثبت ، فقطعهم بالزامات مختلفة فالزومهم تارة مذهب المعتزلة واخرى مذهب الكرامية ، وطوراً مذهب الواقعية وجعل الفرق جميعها إلباً عليهم ، واراد ان يتفق الجميع وينظاھروا عليهم ، فعند الشدائد تذهب الأحقاد .

وطريقة الغزالي هذه تذكرنا بطريقة القديس توما الاكوييني في رده على الملحدة فهو يعرض المسألة ثم يقسمها الى وجوه مختلفة ، وبعين المطالب ثم يذكر أجوبتها ، ويحدد الشبه ثم يبين وجه الخروج منها ، ثم يورد الاعتراضات المقابلة ويفندها . وربما كان كتاب التهافت اكمل ما وصل اليه فن الجدل المدرسي عند العرب ، فهو اكمل من كتاب الانتصار لآبني الحسين الخياط واكمل من كتاب تهافت التهافت لابن رشد من حيث اسلوبه وفنه . والفارابي وابن سينا لم يبرزوا في هذا الفن ، كما ان ابا الحسن الأشعري لم يوفق في مقالات الاسلاميين لشيء من هذا ، لأنه اقتصر على عرض عام للآراء والمذاهب من غير ان يفصل المطالب ويجادل فيها . ومن قارن بين أسلوب الغزالي واسلوب ابن سينا اعجب بقدرة الأول على التحليل والافهام . فأسلوب ابن سينا هو أسلوب الفيلسوف الموزون كل لفظ من الفاظه مطابق لفكرة معينة ، ليس فيه زيادة او نقصان اما أسلوب الغزالي فهو أسلوب الخطيب ، او أسلوب الواعظ والمعلم تتدفق الفاظه كالسيل وتجيء مفعمة بالفكر والعاطفة . وقد نجد للمعنى الواحد عنده عدة الفاظ ،

وتجبد للفظ الواحد عدة معان تختلف باختلاف الكلام وسباق العبارة ، وقد تبدل معانيه بحسب ما يخاطب به كل سائل ، مسترشداً ، وليس في الفلسفة العربية كتاب بلغ من دقة الألفاظ ورشاقة الأسلوب ما بلغه الغزالي في المنقذ من الضلال والاحياء من حسن الاشارة ولطف العبارة ، اللهم الا كتاب حي بن يقظان لابن طفيل . وكثيراً ما كان الغزالي يعدل عن الفاظ الفلاسفة الى الفاظ مألوفاً عند الفقهاء معتادة الاستعمال عند علماء زمانه ، كما فعل في كتاب معيار العلم وكتاب محك النظر فأعانه ذلك على نشر أفكاره ، قال ابن طلموس : « غير اني عندما تصفحت كتب ابي حامد رأيت من تلويحاته وإشاراتِهِ التي تكاد ان تكون تصريحاً ان له فيها (أي في صناعة المنطق) تأليف وري في تسميتها عن ان يسميها باسم المنطق . وهذه الكتب منها معيار العلم له وكتاب محك النظر وهو دون المعيار وكتاب القسطاس المستقيم ومقدمة المستصفى في الفقه ، ومنها مقدمة المقاصد . فهذه الكتب التي ألفها ابو حامد هي من صناعة المنطق ، لكن ابا حامد غير اسماء الكتب واسماء المعاني المستعملة فيها ونكسب عن الفاظ أهل الصناعة الى الفاظ مألوفاً عند الفقهاء معتادة الاستعمال عند علماء زمانه . وما فعل هذا كله الا حذراً وتوقياً من ان يجري عليه ما جرى على غيره من العلماء الذين اتوا بالغريب وغير المؤلف من الامتحان والامتحان . فصانه الله عن ذلك بلطفه وبما اعطاه من بديع الحيلة . فانه عاشر جميع الاصناف وولج معهم الولوج الذي شاركهم به المشاركة التامة حتى صار اماماً في كل صنف ورئيساً في كل مذهب » (١١) فالغزالي لم يستعمل لغة الفلاسفة واصطلاحهم الا في كتاب المقاصد وكتاب التهافت أما في كتبه الأخرى فقد غير اسماء المعاني ، وفضل الألفاظ المألوفة عند أهل زمانه على الألفاظ الفنية الغريبة . ولولا ذلك لما أقبل الناس على مطالعة كتبه ولما اعجبوا بما فيها من حسن الترتيب وجودة النظام والتبويب .

(١١) ابولحاج يوسف بن محمد بن طلموس ، كتاب المدخل لصناعة المنطق ، طبعة مجريط ١٩١٦ م ، ص ١٣

٤ - موضوع الخلاف بين الغزالي والفلاسفة

ولكن ما هو موضوع الخلاف بين الغزالي والفلاسفة ؟
لقد أشار الغزالي في كتاب التهاافت الى ان الخلاف بين الفلاسفة وغيرهم
انما يرجع الى ثلاثة أقسام :

١ - قسم يرجع النزاع فيه الى الفاظ مجردة كنسبيتهم صانع العالم جوهراً
مع تفسيرهم معنى الجوهر بأنه الموجود لا في موضوع اي القائم بنفسه الذي لا يحتاج
الى مقوم بقومه . ولا مجال لابطال هذا في نظره لأن المعنى اذا اتفق عليه في
الذهن يرجع الكلام في التعبير عنه الى اللغة والاصطلاح .

٢ - والقسم الثاني من هذه المسائل لا يصدم اصلاً من أصول الدين كالعلوم
الرياضية والمنطقية فليس شيء منها يتعلق بأمور الدين نقياً واثباتاً . وهي أمور
برهانية لا سبيل الى مجادتها . ومن ظن ان المناظرة في ابطال هذا من الدين
فقد جنى على الدين وعلى نفسه معاً .

٣ - والقسم الثالث يشتمل على المباحث الالهية التي تصدم 'اصلاً' من أصول
الدين ذكر الغزالي منها في كتاب التهاافت عشرين مسألة غلط فيها الفلاسفة
فبدعهم في سبع عشرة مسألة وكفرهم في ثلاث هي القول بقدم العالم ، واقتصار
علم الله على الكليات دون الجزئيات ، وانكار حشر الأجساد .

لا ينسع المقام الآن لاستعراض جميع هذه المسائل ، ولو أردنا استقصاء مسألة
واحدة منها استقصاء تاماً لاحتجنا الى مقدمات طويلة من فلسفة ابن سينا والارابي .
فلنقتصر اذن على الاشارة الى بعض القضايا التي تدل على ان الغزالي قد وفق
في نقده لوضع اصول جديدة لفلسفة عامة جديدة . وهذه القضايا التي نريد
ذكرها على سبيل المثال هي مسألة المعرفة ، ومسألة العالم والزمان والمكان ،
ومسألة السببية .

آل بكتكين - مظفر الدين كوكبري

أو

امارة اربل في عهدهم

(٨٥٢٢ - ٨٦٣٠)

١ - كلمة

تكوّنت في العراق امارات عديدة نالت مكانة في التاريخ . وأظهرها لم تكسب ثقة الشعب ولا حصلت على الاعتماد المطلوب في الادارة أو في خدمة الحضارة والعلوم والآداب . والامارات الصغيرة لا يتعرض لذكرها أحياناً بأكثر من العلاقات المهمة الخاصة بالدول الكبرى ، مما أدى الى اغفال أعمالها الداخلية وأوضاعها الذاتية وبذلك صعب البحث لقلة وسائل الوصول الى حقيقة التاريخ لهذه الامارات وتفاصيل حياتها .

وان هذه الامارة من تلك الامارات الصغيرة تكوّنت في اربل سنة ٥٢٢ هـ -

١٢٢٨ م وكانت أقطعتها دول الأتابكة في الموصل ايام عماد الدين زنكي

(٥٢١ - ٥٤١ هـ) لأحد امرائها (زين الدين علي كوجك) . فصارت تابعة

لها مدة . ثم تطورت بها الحالات فتناوبت (الدولة الأيوبيه) في الشام ، ثم مالت

الى (الخلافة العباسية) لما رأت من جفاء الأيوبيين ، فعدلت عنهم . تقلبت بها

الأوضاع السياسية في أطوارها كلها . وهكذا كانت في علومها وآدابها تابعة

لهذه الدول . فلم يطرأ عليها فنور ، ولا خلل فعاشت الى رمضان سنة ٦٣٠ هـ -

١٢٣٣ م ، فبلغت عمراً تجاوز المئة سنة تمكنت سيفه خلاله من التوجيه السيامي

والاجتماعي والثقافي ، وولدت اتصالاً سياسياً وعلمياً بالأقطار الاسلامية العديدة

من عربية وغير عربية ، وأحسنت الادارة ، وقامت بمشاريع خيرية مهمة نالت

بها مكانة من نفوس الشعب ، وبقي ذكرها مردداً على الألسنة وفي بطون التواريخ ، ليج به القاصي والداني ، نالت من سمو المكانة ما لم تبلغه الامارات التي نوات على إربل قبلها أو بعدها ...

وربما زاد ذكرها وفاقته غيرها من امارات كبيرة أو دول شغلها عن الأمر الأهم ما شغل من آمال خيسة قضتها في حروب ، أو أهتمها الاضطرابات من جراء سوء التدبير ، ومن المغامرات التي لا طائل تحتها .

وهذه الامارة لا تزال آثارها شاخصة للعيان ، جلية في ماهيتها وفي أثرها وتأثيرها ، وصلت الي أقصى ما استطاعت ، فكانت في كل صفحة من صفحاتها تدعو للالتفات ، وتستوقف النظر ، وتستحق التدوين في عامة أئورها حتى في علاقاتها الخارجية بل ان هذه العلاقات مدونة أكثر مما هو خاص بأصل الامارة وداخليتها .

لا سيما أيام آخر امرائها (مظفر الدين كوكبري) سارت من أول نشأتها في طريقة مثلى التزمتها . واستمرت في تكامل وعظمة حتى أيامها الأخيرة . لم تدع لتطرق الفساد أثراً ، ولا لسوء الادارة مجالاً ولم تنسرب اليها الأهواء ، ولم يداخلها القرور وأمل الاستيلاء . وإنما اعتبرت استئثار المملوكة واستغلالها من خير الوسائل وأجلها مقرونة بحسن الادارة ، دجليل العسرن ، فأخذت بنصيب وافر مما غفل عنه كثيرون أعماهم الجبل ، أو الحرص والطمع ...

ويحسنا ان نعلم عن هذه الامارة ما كان من أمرها مجوعاً ، وندون ما عرف من حياة ، ومن انقراض عمل بقدر ما أمكن العثور عليه من الوثائق ، وما سمحت به النصوص التاريخية . وكان امراءها تعاهدوا على الدلاح والتزموا الاصلاح ، وتعاقدوا على الخير فضرربوا رقماً قياسياً للادارة الحققة ، والسياسة القويمة حتى جاءت أيام (كوكبري) ، فظهرت أكثر ، وبدت أوضح .

ولم يكن خيرهم مقصوراً على أعمالهم لأنفسهم أو لمدينتهم ، بل تجاوزوها فخدموا الاسلام في جهادهم ، ورعوا الثقافة ببذلهم للمدارس ، وبالصرف بسخاء لاتصال العلوم والآداب ، فنالت هذه الامارة الفخر والأجر ، وعاشت بهناء واطمئنان

مرغوباً فيها من الأهلين ومن الخارج ، فكانوا في ارتباط بالعلماء لمختلف الاقطار . كانت هذه الامارة في الأصل إقطاعاً كأمثالها من امارات عديدة ، تولت اربل أيام الأتابك عماد الدين زنكي في رمضان سنة ٥٢٢ هـ - ١١٢٨ م ، ودامت على الولاء والموالة للأتابكة من أسرته الى ١٤ جمادى الآخرة سنة ٥٨٠ هـ - ١١٨٤ م وفي التاريخ المذكور مالت الى (الدلالة الأيوبية) . وبقيت على الولاء لها مخصصة الاخلاص كله ، لم تلعب بها الأهواء الى سنة ٦٢٧ هـ . ولما رأت من حكم الملك الأشرف^(١) ما رأت من جفاء وصدود ، بل من اتفاق بينه وبين بدر الدين لؤلؤ على الواقعة بها وعزم بدر الدين على أخذ اربل منها مالت الى الخلافة العباسية ، وذهب مظفر الدين كوكبري في المحرم سنة ٦٢٨ هـ - ١٢٣٠ م الى بغداد بعد أن استنجد بالخليفة المستنصر بالله ، فنهى عن التدخل في أمره ، ومن ثم انتهى اليه .

وفي خلال ادارة هذه الامارة لم تدع مجالاً للاطماع ان تحكم ، بل كانت في بقطة تامة وانتباه زائد لما كان يجري في العلن أو الخفاء فلم تقصر في إعداد العدة للطواري ، وانما كانت على استعداد لكل ما يتوقع . وفي أيام اقيادها لحكم الأتابكة وتوسع ادارتهم كانت تستخدم قوة جيشها المصلحة الأتابكة ، ولغاية التمكن من القضاء على حكم المجاورين فكان عملها كبيراً ، فالارتباط مشهود في السياسة العامة ، وملحوظ دوماً في عهد الأتابكة ، ونعرف درجة ذلك في الاتصال بدولة بني أيوب ، ثم بالخلافة العباسية .

من الضروري معرفة ذلك ، وادراك علاقته بالدولة السلجوقية ، وبالخلافة العباسية والاكتنا بعيدين عن الاطلاع على كنه هذه الامارة والاحاطة بموقعها ، أو غافلين عن مجرى الأمور في التاريخ العراقي والاسلامي وسياسته الخارجية .

وهذه المعرفة لا تؤدي الى الهدف المطلوب حتى نعلم سياسة اربل الداخلية وادارتها

(١) تلك الرها سنة ٥٩٨ هـ - ١٢٠١ م وكنا حراي ، وانتهى اليه بدر الدين لؤلؤ بما دعا الى أن يبيل كوكبري الى المظفر والظاهر غازي . وهكذا توترت العلاقات .

الحلية ودرجة علائقها بالاهلين عسكرياً وادارياً وثقافياً ، ومقدار ما أسدى أمراؤها من خدمات متصلة بآربل مباشرة .

تحتاج كل هذه الى استعراض الوقائع وتثبيتها ، وهي مبعثرة هنا وهناك في طيات كتب التاريخ ، فمن الحتم علينا أن نشيرها ، ولا نبالي بالصعوبات وببذل المستطاع في تنظيم هذه الجهود ، وتقديم ما يتجدد عندنا من المعرفة ليضاف ، فتنبلي الحالة بأمثلة لا تستغني بالموجود بل تتطلب الاكمل والكمال .

واذا كان مجرى الحوادث لا يدرك الا من الوقائع الثابتة والاستعانة بها ليؤدي الأغراض المطلوبة اشارة أو صراحة فان الاستكثار منها ، ومراعاة الحالة المشهودة والوضع الجغرافي مما يؤدي الى معرفة القدرة التي كسبتها هذه الامارة من ضبط الأمور فتظهر الادارة الحكيمة والسياسة المستقيمة التي بلغتها .

ولا يكفي هذا وحده ، وانما نحتاج أكثر الى ما يعين أوضاع الدول الاسلامية في حالاتها السياسية نحو الامارات ، ونحو بعضها . وليس لدينا الا ما يلمحه التاريخ مقروناً بالوضع المشهود ، فترى الصعوبة كبيرة والمهمة شاقة . وربما كان التصدي لها تعرضاً لما يعدّ عملاً متعباً جداً .

وانما في هذه الحالة استنطقنا نواحي عديدة أمثال ما ذكر . ومن أهم ما هنالك العسائر وما فيها من طاعة ، وما يبدو من أوضاع جغرافية تفسر الحوادث ومثل هذه لا تدرك بسهولة ، فلا تنفي الوقائع بالحاجة اذ قد تأتي من جهة واحدة ، ويتخللها اعلانات وتهويلات تتعلق ظاهراً بالخدمة العامة وينطوي باطنها على آمال ونيات تنزع الى الاستيلاء والتحكم ، أو اختلاق معاذير لا أصل لها ، فتظهر في العلاقات الخارجية . وهنا الانتباه واليقظة .

نرى المثبطات كثيرة في الوقوف على مثل هذه الأحوال وادراك كنهها ، والخذلان بين ، تكاد تكون القدرة مفقودة . ولعل في هذه النبذة ما يكون أصلاً للتوسع فيضاف ما أغفل أو أعمل فيتوالى التتبع العلمي ليكمل الغرض التاريخي . وهذه الكلمة نتيجة إلهام وقائع ، ومجاري تاريخية تعين مجال في الخاطر ،

وما رغبتا في بيانه من خلاصة المطالعات في تكون هذه الامارة ، ودوامها ،
 واتقاضيها ، أو معرفة سياستها الداخلية والخارجية حتى صارت في طيات التاريخ ،
 ففي حياتها هذه غرابية وفي ادارتها قدرة التمكن من ناصية الأمور ، ودوام حياتها
 من أغرب الغرائب بين دول عديدة لها آمالها وأمانها ، وقد ندرك نياتها من
 اتفاقاتها ومعاهداتها وما طرأ على هذه الامارة من جرائها ، وللمجارية دخل في
 الايضاح ، وللمعداء طريقة في الاظهار والاعلان . والنزعات لا تحصى ، والتقصير
 في التدوين لا ينكر . والعلوم والآداب نالت مكانة ونجحت نجاحاً باهراً لا يقل عما
 سبقه ، زادت في المصانع الخيرية وأعمال البر ، وقوت ما استطاعت من علاقات ثقافية .
 نحن في حاجة عظيمة الى التنظيم والاظهار لتاريخنا هذا وأمثاله . جعلت (التاريخ
 السياسي) قسماً ، و (التاريخ العلمي والأدبي) قسماً يتلوهما ما يتعلق بالحضارة والعمران
 جعلناه قسماً آخر بعنوان (تاريخ المجتمع) وبعد ذلك كله أنهينا القول بكلمة ختامية .

٢ - التاريخ السياسي

١ - السياسة الدولية

عاشت الدولة العباسية بصولة وقوة من سنة ١٣٢ هـ - ٧٤٩ م ودامت مدة بلغت
 بها أوج الكمال ، ثم تناوبتها أحداث فلت من غربها وخضدت من شوكتها بحيث
 اضطرب فيها جبل الأمن داخلاً وخارجاً واستمرت على ذلك حتى قضى على
 استقلالها بتغلب (البويهيين) ودخولهم بغداد في ١٢ جمادى الاولى سنة ٣٣٤ هـ -
 ٩٤٥ م . وأزيل حكم هؤلاء من بغداد بعد مضي أكثر من مائة سنة في ٢٥ رمضان
 سنة ٤٤٧ هـ - ١٠٥٥ م بتغلب (دولة آل ساجوق) ، فحلت محلهم . وهذه الدولة
 ظهرت بقوة فائقة سيطرت بها على الخلافة وعلى أقطار عديدة . ولم تقنع بالطاعة
 وحدها ، ولا اكتفت بالاذعان بل أرادت ان تكون هذه الامارات خالصة لها
 فأبدلت اماراتها بممالك من الترك أو امراء منهم وبينهم من تسمى بـ (الأتابكة)
 مثل (الخوارزمية) ، و (أتابكة الموصل) و أتابكة آخرين ، فتحوا الامارات

الأولى وأقصوها عن الحكم ، وصار أمر البلاد بأيديهم رأساً فلم يفتنعوا بالسلطة العامة ، بل انتزعوا الممالك ، وقضوا على إماراتها ، فصارت في حكم أمرائها أقطاعاً لهم . جروا على ذلك . وكادوا يخرجون في التسلط على الممالك وإماراتها ويسيطرون على البلاد وأن يكونوا بآمن من الغوائل لو لا أن الأمور لم تفر دائماً طبق المراد ، وإنما تولد الشقاق في نفس الأميرة للملكة فداخل أفرادها الطمع ، وأمراءها الأثرة ، فطرق إليها الخلاف مما أدى إلى التخاصم والخصام ، والمضى عن السيطرة المنشودة أو التمكن من الإدارة بذلك المهمة .

وشعر أهل الإقطاع من الأتابكة بقوة ، وجلّ ما عملوا أنهم ناصروا بعض الأمراء للتمكن واستعان هؤلاء الأمراء بهم لصد غائلة المطالبين بالسلطنة ، أو الميل إلى الثأرين من الأميرة المالكة ، فوله ذلك نفوس الأتابكة ، فأصمروا الانفصال عن أصل الدولة . شعروا بأن الضعف استولى عليها ، وكان هؤلاء الأتابكة قوة بيدها زمام الأمر ، فظاهروا بالتابعة ، ولكنهم انسلخوا منها ، وهكذا مضوا في طريق الاستقلال ، ومن أشهر هؤلاء (atabake الموصل) ، وإن إمارة أربل كانت تابعة لها . والخلافة العباسية حاولت الاستفادة من ضعف الدولة السلجوقية وانشقاقها على نفسها ، وهي تحرق الازم على هؤلاء المتغلبة الذين سلبوها استقلالها ، ولكنها كانت عاجزة لا تملك من القوة ما تستطيع عمله ، وبغداد وحدها لا تكفي ، وهي أيضاً في تشتت آراء ، واضطراب أوضاع ، وليس في وسعها رفع التغلب ، وقد حرمت الوسائل . وإذا كانت قد استطاعت في أيام المقتدي رفع التسلط عن بغداد سنة ٥٤٧ هـ ١١٦٢ م فلم تقدر أن تقاوم الأتابكة ، ولا أن تسترد ما تغلبوا عليه ، ولم تتمكن حتى من أربل ، أو من دقوقا ، أو تكريت ، أو شيرزور ، أو الحلة . ولم تقدر أن تمس الأتابكة في الموصل ، ولا الأيوبيين في الشام وإنما تمكنت من بعض الأطراف .

وفي هذه الحالة من ضعف آل سلجوق ، ومن الخلافة تيسر للأتابكة أن يعيشوا فيهددوا الإمارات الصغيرة المجاورة والخلافة مما حتى بعد انقراض الدولة السلجوقية

سنة ٥٩٠ هـ - ١١٩٤ م . ولم يكن في مقدور الخلافة أن تخضع أتابكة الموصل ولا أتابكة اربل ، بل كانت مهددة بالخوارزميين ، فصار هؤلاء يحاولون ان يحلوا منها محل الدولة السلاجقية ابان تغلبها مما ولد لها مشاكل بسبب هذه المشادة التي نهكت الدولة العباسية ، ونفرت الأهلين منها أيام الخليفة الناصر خاصة . عاشت دولة الأتابكة ولم تحش الدولة العباسية ، ومثلها دولة الأيوبيين . وهكذا كانت الامارات المشتقة من الاتابكة و (اماره اربل) إحداها .

وموضوع بحثنا (اماره اربل) ، وهذه لم تتمكن الخلافة من اخضاعها ، ولا دولة الاتابكة في الموصل استطاعت القبض على قيادها . ولا الدولة الأيوبية قدرت أن تسلط عليها ، بل كل واحدة كانت تخطب ودّها ، وترغب في أن تقبل اليها لتعديل الكفة ، والاحتفاظ بالموازنة . وكانت سياستها التهديد للواحدة بالأخرى على الرغم من ضعفها بل برهنت مراراً على قدرة في جيشها في واقعة (حطين) ، وفي حادث هجوم أتابكة الموصل عليها أيام مجاهد الدين قايماز وانفصاله من اربل ، وفي حادث قطعها العلاقات من الدولة الأيوبية

ويصح أن تعتبر أدوارها التاريخية :

- ١ - تابعيتها لأتابكة الموصل - من سنة ٥٢٢ هـ الى سنة ٥٧٨ هـ .
 - ٢ - انقيادها لآل أيوب . من هذا التاريخ الى سنة ٦٢٧ هـ .
 - ٣ - طاعتها للخلافة العباسية . من ذلك العهد الى سنة ٦٣٠ هـ .
- والنصوص التاريخية تعين أوضاعها . كانت تحسب اميداً وتفكر في أمرها تفكيراً عميقاً ، ولم ترك شؤونها للمقدرات ، أو لتلاعب الأهواء بل كانت المسيطرة على الحالة . الحاكمة على الموقف .

وفي هذه كلها ما يعين وضعها السياسي بين (الدول الاسلامية) ويلتبس في حسن التدبير ، والالتفات الى تنظيم الحالة المالية في ميزانيتها . وفرت مبالغ مهمة للطوارئ ، وأخرى للجيش ، وهكذا للمشاركة الخيرية وسائر الأمور . ولم تقف في حالاتها عند ذلك بل راعت أمر المسلمين ، وقامت بالمصالح العامة من مساعدات

حربية ، وفك أسرى ، ومشاريع ثقافية ، وصلات علمية ، ومعاهد دينية . ولعل في إلهام الوقائع ما يبصر أكثر من هذا الاجمال فتنبلي أمورها التاريخية واضحة لا خفاء فيها ولا إيهام .
ولا شك ان تاريخ هذه الامارة يستحق البحث من وجوه ، وأرجو ان يكون هذا نواة صالحة للتوسع .

٢ - آل بكتكين

(امراء هذه الأسرة)

ان السياسة الخارجية تظهر جلياً في هذه الامارة وعلاقتها بالدول ، وكذا الارتباط بالأهلين وأمر ادارتهم داخلياً وهذه كلها لا تتمين إلا في وقائعها المعروفة وما قامت به من أعمال . وكل ما نعلمه ان هذه الامارة كانت إقطاعاً من أتابكة الموصل في شهر رمضان سنة ٥٢٢ هـ - ١١٢٨ م فقامت أعمال حربية وسياسية وثقافية .

ظهرت قدرتها فيما حكته من أرض ما بين الزابين المسماة بـ (صهران) أو (صوران) من مملكة اربل . وفي إقطاعها ، ومتابعتها للموصل ، ثم انقيادها للدولة الأيوبية فالخلافة العباسية مما توضحه الحوادث التاريخية والشؤون السياسية في تفسير هذا الميل ، ويتخلل ذلك بعض الأوضاع الخارجية والداخلية معاً .

وفي امارتهم هذه أرضوا الأهلين ، فلم يكونوا عتاة جبارين ، ولا أرهقوا اربل أكثر مما تطيق ، وانما عاملوها بالحسنى ، وراعوا رغبتهم ، وولدوا فيها ثقافة بلغت من الشهرة مبلغاً عظيماً ، فصارت مطمح أنظار العلماء ، ومحط رجال أهل الثقافة ، وآثار هذه الامارة في اربل لا تحصى . ويتعين ذلك بالكلام على كل واحد من امرائهم حتى نختصمها بكبير هذه الأسرة وآخرهم مظفر الدين كوكبري . . .
وهذه قائمة امرائهم .

١ - زين الدين علي كوكچك بن بكتكين ولي اربل سنة ٥٢٢ هـ .

٢ - مظفر الدين كوكبري - حكمها من سنة ٥٦٣ هـ حين وفاة والده .

٣ - زين الدين يوسف بنالكين بن علي كوجك . صار أميراً مكان أخيه سنة ٥٦٧ هـ .

٤ - مظفر الدين كوكبري للمرة الثانية والأخيرة . وليها بعد وفاة أخيه سنة ٥٨٦ هـ ودام حكمه الى ان توفي في رمضان سنة ٦٣٠ هـ .

وتهمنا معرفة تاريخ هذه الامارة باعتبارها جزءاً من تاريخ العراق لاسيما وقد حصلت على مكانة ذاتة . وكان ابن المستوفي وضع تاريخاً لها سماه (نباهة البلد الخامل بمن ورده من الأمائل) لم يصل إلينا منه إلا ما علم أخيراً من وجود جزء منه في لندن . وعرف بعض النقل منه مفرقاً هنا وهناك . وآخر من خلصه أو كتبوا تاريخ اربل بمن لم تصل إلينا تواريخهم ^(١) .

وغالب المراجع الأخرى تتعلق بالموصل ، أو بالشام وأنحاءها ، وبالخلافة العباسية وصلتها بمؤرخيها ويغلب على هذه الشجول ، أو الخصوصية بدولة الأتابكة ، أو بدولة آل أيوب . وفي هذه تعرض لبعض المطالب . وقلما نرى من الحوادث ما ولد شهرة عامة . لم تصل إلينا الاثنتان من هذا التاريخ مبددة . وغاية ما يقال فيها انها (تاريخ علاقات) ، فالنقص فيها ظاهر ، وقد رجعنا إليها ، وإلى النقود المضروبة ، والمدونات العديدة . مرجعناها بمشاهدات الأوضاع الطبيعية أو الجغرافية ، والعشائر والأهلين . والآثار الأدبية ، والعلمية . فجمعنا ما يصلح من تاريخ هذه الامارة بالرجوع الى الأتابكة وتاريخهم في العهد الأول ، وإلى الدولة الأيوبية في العهد الثاني ، وإلى الخلافة العباسية ومدوناتهما في الزمن الثالث من أدوار حياتها . فتكونت جملة صالحة مما يأتي النقل منه في حينه . وعلى كل حال كانت هذه الامارة جديرة بالبحث .

٢ - زين الدين علي كوجك

هو ابن بكتكين ، أول أمراء هذه الأسرة باربل . كان استولى على اربل

(١) كشف الظنون - تاريخ اربل . والاعلان بالتوزيع ص ١٢٩ .

عماد الدين زنكي في رمضان سنة ٥٢٢ هـ^(١) فجعلها اقطاعاً . وعرف به (كوجك)
 لأنه كان صغير الجسم . أصله من التركان من ممالك قسيم الدولة والد عماد الدين .
 وفي الغالب لم يعرف عن الامارات الصغيرة مثل اربل ، ولا ذكر عن أمراءها
 ما يشفي غلة . فاذا علمنا بعض أسماء أمراء اربل مثل أبي الهيجاء ، وابنه الأمير
 فضل^(٢) فلا نعرف أكثر من ذلك . ولما قتل قسيم الدولة سنة ٤٨٧ هـ - ١٠٩٤ م
 ما كان عماد الدين بلغ العشر سنوات . وكذا كان زين الدين علي كوجك صغيراً .
 فتقلبت الأحوال بعماد الدين زنكي ، واجتمع اليه اعوان والده حتى دخل الموصل
 واليا في ١٠ شهر رمضان سنة ٥٢١ هـ - ١٢٧ م فأسس اماره الأتابكة في الموصل
 وفي رمضان سنة ٥٢٢ هـ - ١١٢٨ م استولى على اربل ، فصارت اقطاعاً لزين الدين
 وأصبح تابعاً لامارة الموصل .

تجولت الأحوال بهذه الامارة وتغير وضعها فالت الأيوبيين وتم الاتفاق
 بينهما في ذي الحجة سنة ٥٧٩ هـ - ١١٨٤ م وبعدها في سنة ٦٢٧ هـ انخرطت عن
 الدولة الأيوبية ، وفي المحرم سنة ٦٢٨ هـ - ١٢٥٠ م ألحقت بالخلافة العباسية حتى
 انقرضت هذه الامارة في رمضان سنة ٦٣٠ هـ بوفاة مظفر الدين كوكبري .
 وزين الدين علي كوجك أرضى دولة الأتابكة لما قام به من خدمات فحصل
 منها على اقطاع اخرى مثل الهكارية (العمادية وأنحاءها) ، وعقر الحميدية وحران
 وتكريت وشهرزور . وتقدر مكانة هذا الاقطاع في الخدمات التي أسداها بل
 اعتقد ان دوام ملك الأتابكة وتوسعه مدين لاربيل وحسن ادارة المترجم فيها ،
 والجيش الذي استعمله في القضاء على الامارات الصغيرة .

وكان رجال عماد الدين زنكي أصحاب مواهب لم يتمياً مثلهم في دولة الا
 قويت ادارتها ونشطت في حروبها ، واكتسبت سيادة مكيئة في قوام حكم ،

(١) كتاب الروضتين طبع سنة ١٢٨٧ وادي النيل بمصر القاهرة ج ١ ص ٣٠

(٢) الاعتبار لأمانة بن منقذ ص ٨٧ طبعه جامعة برانستون الولايات المتحدة .

وتجلت قدرتها . ومن أبرز رجالها نصير الدين جقر بن يعقوب ، كان نائب عماد الدين زنكي . ولما قتل في ذي القعدة سنة ٥٣٩ هـ - ١١٢٥ م استقر رأي الأتابك في ان يكون (زين الدين علي كوكچك) نائبه على الموصل ، ولم يتعرض لاقطاعه في اربل وغيرها ، وبقيت هذه الاقطاعات في أيدي نوابه .
قال ابن الأثير في أتابكة الموصل :

« استقر زين الدين وتمكن ، وسلك بالناس غير الطريق التي سلكها نصير الدين ، فاطمان الناس وأمنوا ، وازدادت البلاد معه عمارة » . ١
وقال الفارقي في تاريخه :

« كان قد قتله غلامه في ٨ ذي القعدة من السنة ورتب في الموصل زين الدين علي كوكچك وكان لقي الناس من نصير الدين شدة من الجور والظلم والقتل والمصادرات والاقساط فلما ولي زين الدين أزال ذلك جميعه فأحسن الى الناس والرعايا وجميع البلاد ورأى الناس منه كل خير الى ان مات » ١١ « ومدهح ابن القلانسي سيرته على خلاف ما جاء في تاريخ الفارقي .

دام استقرار زين الدين علي كوكچك مدة حياة عماد الدين زنكي ، وبعد ان قتل زنكي في ٥ ربيع الآخر سنة ٥٤١ هـ - ١١٤٦ م . تمكن زين الدين في الدولة الأتابكية تمكناً عظيماً (٢) . أقره الأتابك سيف الدين غازي بن عماد الدين زنكي (٥٤١ هـ - ٥٤٤ هـ) في نيابة الموصل ، وزاد في اقطاعه كما كان ذلك أيام والده ، ولم يتغير شيء من الوضع . وكيف يتغير وكان قد أزال كل تذرر كان في نيابة سابقه ولو تجنب كل صاحب سلطة مما يتذرر منه من سلف بلغت الادارة عندنا حداً لا نقاً . فلم يخل أمر في الادارة ، ولا طراً فساد .

ولا يهمننا التوسع في ادارة دولة الأتابكة ، وانما المأمود أن نعرف ادارة اربل في أيام هذه الامارة والا فان اعمال المترجم الخيرية في الموصل لا تنكر .

(١) تاريخ أبي يعلی حمزة ابن القلانسي - هامش ص ٢٨١ وفصل ابن القلانسي قتله نصير الدين جقر .

(٢) تاريخ الأتابكة في الموصل ص ١٢٢ وفي ابن خلكان توبى عماد الدين زنكي في ١٥ ربيع الآخر .

وأعماله مشهودة ، وهي مشرفة له وقدوة لمن جاء بعده ومن أهمها مدرسته ، كما أنه قبض على زمام الأمور ، وأبدى قدرة تضاءلت دونها غيرها ، فاكتمسب الثقة التامة من الأهلين والأتابكة معاً . ورافقه التوفيق في إدارته ونال التوجه بكل معناه . وهذه لم تمنع أن يلتفت زين الدين علي ككوجك نحو أربل ، ومراقبة نوابه فيها . فكل منهم أراد إرضاءه في نيابته في الطريقة التي مشى عليها في الموصل ، فحاول هؤلاء النواب أن يتخذوا هذا الأمير قدوتهم في إدارة أربل ، أو رسم لهم ما أراد فنفذوا حرفياً ، وقاموا بمثل ما قام به هذا الرجل الكامل من اعتدال وتبصر وعمل نافع .

دام في إخلاصه لسيف الدين غازي إلى أن توفي في آخر جمادى الآخرة سنة ٥٤٤ هـ - ١١٤٩ م ، فولي أمر الأتابكة بعده أخوه قطب الدين مودود (٥٤٤ هـ - ٥٦٥ هـ) فأبقاه على ما كان عليه ، وزين الدين مدير دولته وصاحب رأيه ، فكان نعم المدير والمشير لصلاحه وخيره وحسن مقاصده مع شجاعة تامة وفروسية مشهورة^(١) .

وهنا نقول أن إدارة أربل ظهرت في نوابه وحوادثه الأخرى البارزة .

١ - أنه سار بجيش على بغداد لمناصرة السلطان محمد بن السلطان محمود من رجال الدولة السلجوقية . وكان هذا الحادث سنة ٥٥١ هـ - ٥٥٢ . وفي حربه هذه كان يميل إلى الدولة العباسية ، ويناصرها باطنياً ، ولم يقصد الوقعة بها ، وجرت مراسلات بينه وبين الدولة العباسية أظهر فيها ميله إليها^(٢) .

بدل على ذلك ما جرى من الاحتفال به عندما قصد حج بيت الله الحرام سنة ٥٥٨ هـ ، ففر بغداد وكان قد نهأ كثير من جرائه ما وقع من حرب

(١) ابن خلصان : طبعة سنة ١٢٧٥ هـ يولات مصر . (٢) التفصيل في السكامل

لأن الأثير ج ١١ ص ٨٦ طبعة بولات وابن القلانسي ص ٣٤٣ وفي أخبار الدولة السلجوقية المسماة (زبدة التواريخ أخبار الأمراء والملوك السلجوقية) لصدر الدين الحسيني بتصحيح محمد إقبال مدرس اللغة الفارسية في فنجان طبعه في لاهور سنة ١٩٣٣ م .

بغداد ، حذره اصحابه من جلاء مناصره الملك محمد السلجوقي . فلما وصل الى بغداد أكرمه الخليفة المستنجد بالله العباسي ، واجتمع به وأمر بالخلع عليه . وفي هذا الاحتفال أبدى أموراً كانت محل التفات الخليفة والزيادة في انعامه .

وذلك انه لما لبس الخلعة وكانت طويلة عليه لقصره مدة يده الى كمرانه واخرج ماشداً به وسطه ، وقصر الجبة ، فنظر الخليفة المستنجد اليه ، فاستحسن ذلك منه وقال لمن عنده مثل هذا يكون الأمير والجندي لا مثلكم . فلما دخل قبل يده ثم خرج من عنده بعد ان حادثه بالتركية وكان المستنجد يتكلم بها جيداً ، فلما خرج نظر اليه المستنجد من شباك وقد اخرج شيئاً من السيف الذي اتم به عليه من الديوان فلم يره جيداً ، وهو يومي برأسه يعني انه غير جيد ، فأرسل اليه سيفاً آخر ، وقال للرسول : - يقول لك أمير المؤمنين ذاك السيف بترك ، وهذا تقايل به اعداء امير المؤمنين واعداء المسلمين .

فرد وجهه وقبّل الأرض ، وتقلده . ثم مضى في طريقه الى الحج ، فأحسن الى الناس في الطريق وكثر الصدقات ^(١) .

٢ - في سنة ٥٥٥ هـ كان قد سار سليمان شاه من الموصل الى همدان ، وكان زين الدين معه ليتولى السلطنة ، فرأى في طريقه ما رأى من خلل في ادارة الجيش وتسلط الأمراء ، فأبدى حكمة وعقلاً في الانسلاخ والرجوع لما عرف من نتائج تؤدي اليها الحالة ^(٢) .

٣ - في سنة ٥٥٩ هـ ارسله قطب الدين مودود منجداً الملك العادل نور الدين وكان قد كاتب نور الدين الأطراف ، وكاتب العباد والزهاد المنقطعين فذكر لهم ما يلقي المسلمون من الافرنج ، وما ينالهم من القتل والأسر والنهب ويستمد منهم الدعاء ، ويطلب منهم ان يبحثوا المسلمين على الغزاة ، فأمدوه للبياج الحاصل في الممالك الاسلامية من جراء ما قام به هؤلاء الزهاد والعباد من دعوة ، فحذر

(١) الدولة الانابكية ص ٢٠٧ . (٢) الكامل لابن الأثير ج ١١ ص ١٠٣ .

الملوك والأمراء ان يفسد عليهم الأمر في ادارتهم ، فكانت (واقعة حارم)^(١) .
 ٤ - في سنة ٥٦٣ هـ سار زين الدين الى اربل ، وسلم جميع ما كان بيده من
 البلاد والقلاع الى الاتابك قطب الدين ، فمن ذلك سنجار وحران ، وقلعة عقر
 الحميدية ، وقلاع الهكارية جميعها ، وتكريت وشهرزور .

وسبب ذلك انه طعن في السن واصابه عمى وصمم ، فتنازل عن كل ما في
 يده من اقطاعات وأبقى اربل وحدها بيده .

٥ - في السنة التي ذهب بها الى اربل توفي في ١١ ذي القعدة سنة ٥٦٣ هـ -
 ١١٦٨ م . وكان استولى عليه الهرم ، وضعفت قوته . وكان في اربل سرقة
 الأخير^(٢) . ولا يزال معروفاً .

٦ - حياته الخاصة : كان خيراً عادلاً ، حسن السيرة جواداً ، محافظاً على حسن
 العهد ، واداء الامانة ، قليل الغدر بل عديمه . وكان اذا وعد بشيء لا بد له من
 ان يفعله وان كان فعله خطيراً . وكان حاله من أعجب الأحوال بينما يبدو منه
 ما يدل على سلامة صدره وغفلة حتى يظهر منه ما يدل على افراط الذكاء وغلبة الدهاء .
 قال ابن الأثير : « بلغني انه اتاه بعض اصحابه بذهب فرس ذكر انه نفق له
 فأمر له بفرس فتداول ذلك الذنب ١٢ رجلاً كلهم يأخذ فرساً ، فلما احضره
 آخرهم قال له اما تسقيون في كما استحي منكم قد احضر هذا الذنب عندي
 ١٢ رجلاً وانا اتناقل لثلاثين رجلاً احكم انظنون اني لا اعرفه بلي والله انما اردت
 ان يصلحكم عطائي بغير من ولا تكدير فلم تتركوني وامر له بفرس آخر ٠٠٠ » ١ هـ
 وكان يعطي كثيراً ويخلع عظيماً ، وكانت له البلاد الكثيرة ، فلم يخلف شيئاً
 بل نقد جميعه في العطاء والانعام على الناس فكانت بلبس الغليظ ويشد على
 وسطه كل ما يحتاج الجندي اليه من سكين ودرفش ومطرقة ومسلة وخيوط
 ودسترك وغير ذلك .

(١) الدولة الأتابكية ص ٢٢٠ [وكتاب الروميين ج ١ ص ١٣٣] والتفصيل هناك .

(٢) ابن خلكان ج ١ ص ٦٢٠ والسكامل لابن الأثير ج ١١ ص ١٣٢

وكان من أشجع الناس ميمون النقية لم تهزم له راية وكان يقوم المقام الخطير
 فيسلم منه بحسن نيته . وكان تركياً أسمر اللون خفيف العارضين قصيراً جداً ،
 وبنى مدارس وربطاً بالموصل وغيرها . بلغني أنه مدحه الخيص بيص^(١) فلما أراد
 الإنشاد قال له أنا لا أدري ما تقول لكنني أعلم أنك تريد شيئاً وأمر له
 بخمسمائة دينار واعطاء فرساً وخلعاً وثياباً يكون مجموع ذلك نحو ألف دينار .
 ومكافئه كثيرة تقتصر على بعضها ولما توفي كان الحاكم بابل خادمه مجاهد بن
 قايماز وهو المتولي لأمرها^(٢) .

وجاء في أوراق قديمة لمؤلف مجهول : « كان قصيراً جداً ، عادلاً ، حسن
 السيرة ، كثير الأمانة . . . ميمون النقية ، لم يكسر جيش هو فيه ، وكان
 بخيلاً ، ثم إن جاد في آخر عمره ، وبنى المدارس والربط والقناطر والجسور . . . »^(٣) .

يتبع : (بغداد) عباسي العزاوي



(١) ترجمته في ابن خلكان ج ١ ص ٢٨٥ (٢) تاريخ أتابكة الموصل ص ٢٢٢

(٣) الظاهر أن هذه الأوراق من تاريخ الذهبي ولم أعسكن من المقابلة .

عقدنا نكاح

كتبنا في أواسط القرن الثامن

أعثرني الاتفاق بمقدي* نكاح كتب أولها في ٢٣ رمضان سنة ٧٣٤ الهجرية الموافق لسنة ٣٠٤ الميلادية وكلاهما أجريا بشفر اسوات أحد الثغور المصرية القائمة على شاطئ نهر النيل وهما يتعلقان بأميرة تدعى أم الخير ابنة الأمير ركن الدين الحسين بن شجاع الدين بن فخر الدين مالك الى ان يتصل نسبها بمعد بن عدنان . فالأول اكتبه الأمير علم الدين علي بن سراج الدين عمر بن جمال الدين حامد ابن رحال بن عمار بن حامد بن عمار الكاهلي . والثاني اكتبه الأمير عز الدين أفرون (كذا) بن تاج الدين (كذا) ابن شرف الدين محمود بن فخر الدين مالك الى ان يتصل نسبه بمعد بن عدنان أيضا . والظاهر من هذا النسب ان افرون المذكور من بني عمومتها . وجاء في العقد الأول عن المعقود عليها الأميرة الجليلة المصونة والدرة المكنونة البكر البالغ وفي العقد الثاني الأوصاف ذاتها يتبعها المرأة المالكة أمر نفسها . وهذان العقدان لم يدوتا بالرق المصنوع من الجلد المدبوغ كعادة ذلك الزمان في تحرير الصكوك أو بالكاغد الثقيل الذي كانت تكتب به الكتب والدفاتر بل ان كل واحد منها مكنوب على قطعة نسيج من الحرير الأخضر الذي لم يتخرق ولم يتشقق الى الآن ولذلك فان الذين كتبوا العقدان أو الذين شهدوا عليهما من الشهود قد عانوا بعض المشقة في كتابتهم لأن القلم لا يجري على الحرير كجريانه على المواد الأخرى المعدة للكتابة . ولذلك فقد عانى كاتب هذه السطور أيضا بعض النصب في قراءة العقدان المذكورين عن النسيج الذي أتعب من كتبوا عليه .

وهذه نسخة العقد الأول :

بسم الله الرحمن الرحيم وصلى الله على سيدنا ونبينا محمد النبي الأمي وعلى آله
وأصحابه وسلم تسليماً كثيراً .

الحمد لله الذي شرف الأنساب وفضلها ، وعظم الأحساب وكملمها ، وأوضح
الأحكام وبينها ، الذي هدانا لهذه الاسلام التي هي أفضل المال ، وجعلها ميزان
عدل معتدل ، وجاور من الأشياء ما دق وجل ، وتفرد بوحدايته عز وجل ،
هادي الأبواب ، ومرشد النظر الى الصواب ، وحافظ الدراري والأعقاب ، الذي
خلق أبا البشر من تراب ، وأجرى النطف من الأصاب ، الحاكم بعدله ، والهادي إلى
الخير وسبيله ، ومعمّر البسيطة بآدم ونسله ، الذي جعل النكاح عصمة من الشيطان
وحبله ، فهو ما أمرت الشريعة باعتماد فعله ، وأباحه الله على لسان رسوله ، فقال
عن من قائل في محكم منزله ، « وانكحوا الأيامي منكم والصالحين من عبادكم
ان يكونوا فقراء يغنهم الله من فضله » أحمد على ما يسره وأظهره وأشكره
على ما قضى به من التواصل وقدره ، وسهله من التصاهر ويسره ، وأشهد ان
لا إله إلا الله وحده لا شريك له شهادة تدرأ العذاب ، وتستنزل رحمة العزيز
الوهاب ، وأشهد ان محمداً عبده ورسوله الذي اصطفاه من خلقه وآتاه الحكم
وفصل الخطاب ، صلى الله عليه وعلى آله صلاة دائمة الى يوم المساب ، فادارة بالعلم
والعمل حاكمة بالأمان عند الفزع والوجل .

وبعد فان النكاح مما دعا الله اليه كافة الأنام وأباحه ليستغني بالحلال عن الحرام
وقال جل ثناؤه في حق من خشي العيلة من كثرة أهله « وان خفتم عيلة فسوف
يفنيكم الله من فضله » وقد ورد عن سيد ولد بني تهامة : « تناكحوا تكثروا
فاني مياوم بكم الأمم يوم القيامة » وسيرفع حجاب ما سبق في هذا الكتاب .
فنسأل الله العظيم ان يجعل التوفيق مما حضرنا لأجله ، ويحوط هذا الأمر
بالخير بعده وقبله ، وان يعضد هذا العقد بالدوام ويحسن له الفاتحة والختام .

وكان مما سورع اليه ووقع التعويل عليه وهو ما يقرأ عليكم في كتاب أوله

بسم الله الرحمن الرحيم . الحمد لله وسلام على عباده الذين اصطفى
 هذا كتاب صداق ، وعقد توفيق واتفاق ، وبركة تسعو على اصحابها ، وسعادة
 تنمو الى خطاياها ونعمة قد من الله سبحانه بها ، اكتبه الامير الأجل المحترم
 علم الدين علي بن مراح الدين عمر بن جمال الدين حامد بن رحال بن عمار بن حامد
 ابن عمار الكاهلي لخطوبته الأميرة الجليلة المصونة والدة المكنونة البكر البالغ
 المدعوة أم الخير ابنة الأمير الأجل المرحوم ركن الدين الحسين ابن الأمير
 الأجل الكبير المحترم المرحوم شجاع الدين ابن الجناح العالي المولوي الكبير
 الأجل المجتبي المختار عضد الدولة ناصر الجيوش فخر الدين مالك بن الأمير الأجل
 المجاهد صارم الدولة وكنزها ابي عبد الله محمد ابن الأمير الأجل المجاهد سيف
 الدولة وعهدتهما ابي الفتح نصر ابن الأمير الأجل عضد الخلافة كنز الدولة
 حسام أمير المؤمنين ابي الفتح ابراهيم ابن الأمير الأجل ابي عبد الله محمد بن علي
 ابن محمد بن يوسف ابن معدي كرب بن الحارث بن مسالحة بن عبيد بن ثعلبة
 ابن يربوع بن الدؤل^(١) بن حنيفة بن أقصى بن دعي بن جديلة بن ربيعة بن نزار
 ابن معد بن عدنان ويريد تزوجها أصدقها على بركة الله وعونه وحسن توفيقه من
 الذهب العين المصري المئاقيل المسكوك الجيد خمسمائة دينار الحال من ذلك
 مائة دينار واحدة وباقى ذلك وهو من عين الذهب اربعمائة دينار بالصفة المذكورة
 يقوم بها الزوج المذكور للزوجة المذكورة مقسطاً لها عليه الى تقضي عشر حجج
 من تاريخه وهو ثاني عشرين شهر رمضان سنة أربع وثلاثين وسبعمائة وذلك
 بالجاب من ضياء الدين احمد بن طاهر بن سيدهم النقيب بباب الشرع الشريف
 بشعر أسوان المحروس وكيل أخيها شقيقها جمال الدين محمد وذلك بشهادة من
 يذكركل منهم رسم شهادته آخره وعلى الزوج المذكور ان يتقي الله عز وجل
 (١) هكذا في الأصل وقد وردت في مقداني الدؤل والدؤل المذؤل رجل من بني حنيفة
 ابن لجم وحي من بكر بن وائل كما جاء في القاموس . بيد أن المبرد في كتاب نسب عدنان
 وقحطان ذكره المؤمل .

فيها ويحسن صحبتها ويعاشرها بالمعروف ، وبخالق الرضي المألوف كما أمر الله سبحانه وتعالى في كتابه الكريم وسنة نبيه محمد عليه أفضل الصلاة والتسليم وله عليها مثل الذي لها عليه ودرجته زائدة عليها بقوله تعالى في محكم كتابه العزيز « وللرجال عليهن درجة والله عزيز حكيم »

ولما وضع لسيدنا الفقيه الأجل الامام العالم العبد الكاظم المدرس الفاضل القاضي العدل الرضي نجم الدين أبي عبد الله محمد بن الشيخ الصالح العالم الورع الزاهد العدل الرضي ضياء الدين أبو العباس أحمد القرشي نسباً الاصنائي بلداً المستخلف في الحكم العزيز بمدينة أسوان عن حضرة سيدنا ومولانا أفضى القضاة حاكم الأحكام بقية السلف الكرام شرف الدين أبي مدين شعيب ابن سيدنا العبد الفقير الى الله تعالى القاضي الأجل الفقيه الامام العالم العلامة جمال الأحكام حلال الأحكام جمال الدين حاكم المسلمين أبي التقي يوسف القرشي الشافعي الحاكم يومئذ بمدينة أسنا وأدفو وثغر أسوان المحروس ومأمع ذلك من الوجه القبلي من الأعمال القوصية عن الناظر في الحكم العزيز بالديار المصرية الشافعي أدام الله أقبالهم وختم بالصالحات أعمالهم ان الزوجة المذكورة حرة مسلمة صحيحة العقل والبدن خالية من الموانع الشرعية فحينئذ أمر بكتبه فكتب وزوجت من الزوجة المذكورة المسطر أعاليه حاله ومؤجله قبل الزوج لنفسه ذلك قبولاً صحيحاً شرعياً فوراً خار الله لكل منهما في صاحبه وبلغه أقصى ما أربه .

وبجميعه شهد على من سمي فيه مما نسب اليهم في التاريخ المقيد أعلاه بتاريخ الثاني والعشرين من شهر رمضان المعظم سنة أربع وثلاثين وسبعمائة .

حضرت العقد المذكور شهدت على الأمير علم الدين الزوج

المذكور بمعلوم الصداق المذكور وشهدت على من

تسمى بما نسب اليهم وعلى الزوجة المذكورة بقبض

فيه وكتبه الحال المذكور وكتبه

محمد بن عبد العزيز محمد بن الحسين بن محمد بن عبد العزيز

| | |
|----------------------------------|----------------------------------|
| شهدتُ على الأمير علم الدين | حضرتُ عقد النكاح وشهدتُ |
| الزوج المذكور على الصداق المذكور | على المذكورين بما نسب اليهم |
| وعلى الزوجة بقبض الحال | وأشهد على الزوجة |
| المذكور علناً وكتبه | بقبض الحال |
| علي بن نعمة الله | وكتبه محمد بن أحمد بن عبد العزيز |

وهذه نسخة العقد الثاني

بسم الله الرحمن الرحيم وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه وسلم .
الحمد لله الذي تعبدنا بطاعته ، وشرّفنا بعبادته ، وأنالنا من إحسانه وفضله
ورحمته ، الذي جعل النكاح من شريعته ، وحثّ عليه في كتابه وسنته ، وجمع
بين شمل المتباعدين بلطفه وحكمته ، والف بين الزوجين فسكن اليها فصرف
كلّ منعا إلى الآخر غابة مودته ومحبه ، حمده على ما أولى من نعمته ، وأشكره
على آلائه ومنته ، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له شهادة معترف
بربوبيته ، مقرّة بوحدانيته ، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله المبعوث إلى كافة الأمم
برسالته ، والمخصوص في المؤمنين بشفاعته ، صلى الله عليه وآله وصحبه ، ما أعقب
ليل صباح بكرته .

وبعد فهذا عقد شمله التوفيق بكتيبته ، واكتنفه اليمن بيمينه ، الزوج فيه من
ذوي الأقدار المشهورة ، ومن أرباب البيوت المذكورة ، قد نشأ على قدم الخير
والإصلاح ، وتعاطى أسباب التقوى والصلاح ، والزوجة بالدين والعفاف موصوفة
وأبوتها بالأوصاف الجليلة معروفة ، فالله بقرن عقدهما بالتوفيق ، ويخرجه على أجمع
طريق ، وكان مما أراد الله عز وجل في القدم ، وجرى به في اللوح المحفوظ
بالقلم ، نكاح الأمير الكبير المجاهد عز الدين الذي هو عالمنا^(١) بأن النكاح
مندوباً^(٢) إليه ، وبحوث من الشارع عليه ، وأنه حصل لأسباب التحسين والعصمة ،
وجامع لأسباب المودة والرحمة ، وسبب التعاصر والتناصر ، ومقصود به التناسل

(١) و (٢) مكثا في الأصل والصواب عالم ومندوب

والتكاثر ، رأى المصلحة في تحصيل هذا المندوب ، ويموز لنفسه هذا المطلوب ، وعزم على تزويج من ندب الشرع الى تزويجها ، والاتصال بها ودوام مصاحبتهما ، وهي عقيلة ذات الدين والعقل والجمال ووُصفت بكمال الأحوال ونشأت في السعادة الكاملة ، وربيت في حجر النعمة الشاملة ، والدها من أكبر الأمراء قُدراً وأسخام كفاً ، وأكملهم وصفاً ، وهو الأمير الكبير ركن الدين الحسين صاحب الصدقات والمعروف ، ومن هو بمكارم الأخلاق الدينية موصوف ، فالله بقرن هذا العقد بالسعادة والتوفيق ، ويجره على أحسن طريق ، وكان مما سورع اليه ، ووقع التعويل عليه وهو مما يقرأ عليكم في كتاب أوله :

بسم الله الرحمن الرحيم . الحمد لله وسلامه على عباده الذين اصطفى خصوصاً ان الله مع الذين اتقوا والذين هم محسنون وحسبنا الله ونعم الوكيل .
هذا كتاب عقد وسمة ودية ، وتجديد عهد ، وعزم مبارك ، وساعة سعد ، واتفاق في الأمور ، واتتلاف في الصدور ، اكتبه الأمير الأجل الكبير الأخص الأعرز المجتبي المختار الموفق السعيد عز الدين أفرون ابن الأمير الأجل الكبير المجاهد المراتب الموفق السعيد تاج الدين متوح ابن الأمير الأجل الأكل المجتبي المختار شرف الدين محمود ابن الأمير الأجل الكبير المجتبي المختار المجاهد المراتب المشاعر الأخص الأعرز الأكل المؤيد كنز العشائر فخر الدين أبي المنصور مالك ابن الأمير الكبير المجاهد المراتب المجتبي المختار تاج الأمراء فخر العرب صارم الدولة وعسكرها أبي عبد الله محمد بن الأمير الكبير الهام كنز الدولة وفخرها سيف الدولة أبي الفتح نصر ابن الأمير المخلص المنصور المؤيد عصر الخلافة عز الملك تاج الدولة فخر العرب كنز الدولة وعهدتها أبي اسحاق ابراهيم ابن صارم الدولة أبي الحسن علي ابن الأمير حسام الدولة أبي العز متوح ابن الأمير كنز الدولة أبي المنصور محمد ابن الأمير كنز الدولة أبي المكارم هبة الله بن محمد بن علي ابن يوسف بن اسحاق بن ابراهيم بن مسروق بن مسمع^(١) بن معدي كرب بن الحارث

١ : في الأصل تقرأ مسمع وسم وكلاهما بإضافة أداة التعريف أبو قبيلة .

ابن مسلمة بن عبيد بن ثعلبة بن الدئل^(١) بن حنيفة بن صعب بن علي بن بكر بن وائل
ابن قاسط بن هنب بن أفصى بن دعمي^(٢) بن جديلة بن أسد بن ربيعة بن معد بن
عدنان بخطوبته الأميرة الجليلة المصونة والدرّة المكنونة المرأة المالكة أمر نفسها
المدعوة أم الخير ابنة الأمير الأجل المرحوم ركن الدين الحسين ابن الأمير
الأجل الكبير المحترم شجاع الدين ابن الجناب المولوي الآمري الأجلي المحبّي
المختار عضد الدولة ناصر الجيوش فخر الدين مالك النسب المذكور ويريد تزوجها
أصدقها على بركة الله سبحانه وتعالى وعونه ، وحنن توفيقه وظنه ، وسنة نبه محمد
صلى الله عليه وسلم صداقاً جملة من الذهب العين المثنائيل الوازن المصري مائتا
دينار حالاً ومؤجلاً فالحال من ذلك خمسون ديناراً أقرّت الزوجة المذكورة
بقبضها من الزوج المذكور وبقية ذلك مقسطاً لها عليه في صلح كل سنة تقضي
من تاريخ العقد بينها وهو الخامس من شهر جمادى الآخرة من شهر سنة اثني
واربعين وسبعمائة عشرة دنانير والله ولي المتقين .

وولي تزويجها والقيام بعقد نكاحها عليه سيدنا العبد الفقير الى الله تعالى الفقيه
الامام العالم الكامل صدر المدرّسين مفيد الطالبين القاضي العدل الرضي نجم الدين
أبي عبد الله محمد ابن سيدنا العبد الفقير الى الله تعالى الشيخ الصالح الورع الزاهد
العدل الرضي ضياء الدين أحمد بن نجم الدين عبد القوي القرشي الحاكم يومئذ
بشعر أسوان عن الناظر في الحكم العزيز بالأعمال القوسية أدام الله سعاده باذنها
له في ذلك نسبها الأنسب سيضع خطه فيه في ذلك ان وضع خلو الزوجة المذكورة
من موانع النكاح الشرعية أجمع وان الزوجة المذكورة يومئذ حرة مسلمة
صحيفة العقل والبدن فحينئذ أمر بكتب هذا الصداق فكتب وزوجت من
وكيله أحمد بن منبه بن عبد الله على الصداق المذكور قبل الوكيل المذكور

(١) هكذا في الأصل وفي العقد الذي قبل هذا الدؤل

(٢) هكذا في الأصل وفي العقد الذي قبله دُعَمَي

هذا النكاح لموكله قبولاً شرعياً بشفر أسوان المحروس بتاريخ الخامس من شهر
جمادى الآخرة من شهور سنة أربعين وسبعمائة .

| | |
|---------------------------------|----------------------------------|
| حضرت العقد المذكور وشهدت | حضرت العقد المذكور وشهدت على |
| على سيدنا ومولانا أفضى القضاة | سيدنا ومولانا أفضى القضاة |
| حاكم المسلمين زين المدرسين | رئيس المدرسين مفيد الطالبين |
| علم العلماء المعتبرين نجم الدين | أبي عبد الله محمد الحاكم المنعوت |
| الحاكم المزوج والوكيل القائل | اعلاء والمزوج والوكيل القائل |
| بما نسب اليها فيه في تاريخه | بما نسب اليها فيه في تاريخه |
| كتبه خليل بن عيسى عريس | محمد بن عمر بن علي القرشي |
| عفا الله عنهم | |

حضرت العقد المذكور وشهدت على
سيدنا ومولانا أفضى القضاة
صدر المدرسين مفيد الطالبين
أبي عبد الله محمد الحاكم المنعوت
اعلاء المزوج والوكيل القائل
بذلك والزوجة بما نسب اليها فيه
في تاريخه المذكور اعلاء
كتبه صالح بن احمد بن محمد بن علي

عبد الله مخلص

الطرافة والابتدال

في الأدب العربي

(نوطئة)

ليس كل ما كان جديداً في الأدب يستحق ان يحسب طرفة أو تحفة فقد يكون الجديد قبيحاً إما خطأ فيه وأما لنبو الطابع والذوق عنه وأما لمخالفته الطابع العربي في كيفية الاداء والترتيب . ومما تلجأ اليه طائفة من أدباء العرب في نهضتنا الحديثة اتباع اوزان شعرية جديدة تشبه بعض الشبه نوعاً من الموشحات ولكنها ليست اياها ومن العسير ضبطها تحت أحكام معينة . هذا النهج الجديد يولع به انصاره بقصد الاغراب وادخال الدهشة على الآذان والأذهان آملين ان تجر الدهشة الى اعجاب واستحسان وهو امل بتحقيقه في نفوس ضعفاء القراء ولكن هيئات ان ينال مثلاً من نفوس اقويائهم . لأن القوي لا تهمة هذه الظواهر والزخارف بل يغربل ما يقرؤه ثم ينخله وينظر الى ما فيه من لباب لا من قشور متكاثفة وعلى هذه الصورة يصدر حكمه بجودة هذا الشعر الجديد أو برداءته . فمن اراد من أدباء العصر مواراة عجزه وتقصيره بهذه المستحدثات فاهمسوا في أذنه قائلين انها لا تحول دون نظر اهل الحصافة والخبرة . وحكم كل خبير يصدر عليه يفوق عشرة آلاف حكم من غير الخبراء الذين يحكمون له .

ثم ليس كل ما كان مطروقاً في الأدب يستحق ان يحسب مبتدلاً مستهجنًا فقد يكون المطروق ضرورياً لايضاح ما اكتنفه من الكلام . وقد يكون مقبولاً محتملاً مماثلاً لسياق الحديث في سذاجته وصراحته . وهذا المطروق الساذج مقتدر بشرط ان لا يزيد على خمس القصيدة فان زاد فالقصيدة ليست بذات درجة عالية .

هذه تنبيهات اجمالية يجب ان لا يغفل عنها العاقل المتصف . ولكن ليس من حق هذه التنبيهات ان تتجاوز حدودها فتخدع اذواقنا وبصائرنا وتخلط علينا بين المحاسن والمساوي .

ومن اسرار البلاغة ومعادنها الفياضة تناول المعنى التافه وتزيينه من بعض نواحيه او تناول الفكرة الجملة وتفصيل شيء من زواياها . او الخاطر الناقص وتكميل نقصه . الى ما يشبه هذه التعديلات مما سميته توليداً في كتابي « كفيل البيان والشعر » وأوردت عليه 'مثلاً' حجة مقنعاً المعنى الأصلي من جذوره فأزاحه ميتدل حقير في أصله حتى اذا عولج بأحد هذه القوالب أصبح مبتكراً باهي الجمال أو قريباً من قمة الابتكار . فالتوليد اذن منجم عميق رحب من مناجم حسن القول وأسرار البلفاء . ولا يلحق بي ان أعيد هنا ولو باختصار ما تناولته هناك . بل أنوي الساعة ان أدل القاري على منجم ثانٍ يتأخم طريقه طريق المنجم الأول وقد يتشابه الطريقتان . ويمكنني ان اسمي هذا المنجم الجديد تنزهاً كما سميت ذلك توليداً وهو خير مرآة لوجوه الطرافة واختلافها عن وجوه الابتذال مما جعلته عنواناً للبحث الحاضر .

التنزه الأدبي اجمالاً

الذي أريده بالتنزه الأدبي الترفع عن مستوى منخفض الى مستوى أعلى مما ينطبق على الوضع اللغوي من لفظ التنزه ومعناه التباعد كما ينطبق على معنى له آخر شائع بين العامة وخاصة اي طلب التنزه في بستان او روضة أو راية جميلة أو وادٍ ظليل أو حقل ناعم أو مرج بهيج الى ما شاكل ذلك . فكلا المعنيين من لفظ التنزه يلائم التشبيه المقصود بالانتقال من معنى مبتذل الى معنى طريف مستعذب . وللمجيد من شعراء العرب في هذا الميدان قدم راسخة وباع طويل وأدل الدلائل على قدرتهم الشعرية واتساع مدى تصورهم وتفكيرهم انهم لم يقتنعوا بالمعاني والتشبيهات التي طرقها كثيرون قبلهم عند ذكر ما كثرت إلفتهم

له من شمس وقر وغيث وجبل وهواء وبحر ونحوها . بل تجاوزوا ذلك القديم المعتاد المطروق الى معانٍ جديدة ومناسبات لطيفة لا ينتبه لها الا امثالهم من فحول الشعراء وهم قليلو العدد في كل عصر وكل مصر . وهذا الذي انوي التصريح عليه في مايلي من الشواهد الشعرية متعلقة بالشمس والقمر والنجم والغيم والمطر والطل والهواء والأرض والبحر والغدير والبئر والجليل والوادي والليل والتراب والناس وحديثهم ودموعهم وتبادلهم التحيات والسيف والرمح والسهم والحياة والموت . فان جميع هذه المحسوسات المشاهدات وجدنا لها في قرائح الشعراء المفايقين حيزاً جديداً جميلاً لا عهد لنا بمثله عند غيرهم . فقلنا يرضى احدهم بالاقتصار على هداية النجم وبهاء القمر وعلو الشمس واتساع البحر ومضاء السيف الى آخر ما هنالك من المعاني المتداولة بل يستخرج لكل منها معنى آخر طريفاً ومناسبة لطيفة . وقد حان لنا ان نسرّد ذلك سرّداً قريباً المأخذ سهل المثال .

شواهد التنزه الأدبي في المحسوسات العلوية

اراد ابو تمام وهو حبيب بن اوس الطائي ان ينزه قريشته ويدفعها عن الالمام بضياء الشمس او رفعتها او تأجيج نارها او تعميم فضلها على الخلوقات فالتفت الى ناحية جديدة ورأى ان الشمس تستحيها النفوس وان لم تحاول هي احراز هذه المحبة فقال في وصف حبيبته الحسناء :

هي الشمس يغنيها تودد وجهها الى كل من لاقت وان لم تودد
تودد بفتح البناء وأصلها تودد . وحذف احدى التاءين بقصد التخفيف قياسي
في مثل هذا الموضع وقد وفق ابو تمام الى نهج جديد آخر في التشبيه بالشمس
حين أراد حضّ الناس على الهجرة والاغتراب امتزاجاً لأرزاقهم وقوتهم المعنوية فقال :
وطول مقام المرء في الحي مخلّق لذيّاجتيه فاعترّب تتجسّد
فاني رأيت الشمس زبدت محبة الى الناس أن ليست عليهم بسرمد
ولم تطب نفس ابي بكر الخوارزمي حين تصدى للتنويه بفضل احد اصدقائه

في ان يجعله عالي المقام كالقمر او مشرق الخصال والمبادي مثل نور القمر مما هو رث قديم بال بل تنزه عن ذلك الى معنى جديد ابتكره في ايجاد وجه شبه بين ممدوحه والقمر فقال ان صديقه يتفقد اخوانه سيف اكثر الأحيان عندما يكون على سعة من العيش فان اعتراه عسر وضيق قلل من مخالطتهم والاجتماع بهم شأن القمر في طول مدة بروزه للبشر عندما يقوى نوره فان ضعف نوره وهو في أوائل الشهر القمري او اواخره لم يبرز لعيون الناس الا مدة قصيرة . وهذا الذي قاله الخوارزمي :

رأيتك ان ايسرت خيمت عندنا لزماً وان اعدمت زرت لما
فما انت الا البدر ان قل ضوءه ألم وان زاد الضياء اقاما
ولم يقصر عن هذه الطرافة شاعر آخر اراد معاتبة صديق له ارتفع منصبه فأخذ يظهر له جفاءً وفتوراً فقال فيه الشاعر المجفوف :

سألت الله ان تسمو وتعلو علو النجم في كبد السماء
فلما أن علوت بعدت عني فكان اذن على نفسي دعائي
ومعلوم ان علو النجم في كبد السماء معنى مبتذل لم يكن لذلك الناظم فضل في الاشارة اليه وانما ظهر فضله وذكاؤه في كيفية الانتفاع بهذه الناحية المبتذلة حين شبه ابتعاد خليفه عنه بعد ارتفاع منصبه بابتعاد النجم عن عيون الناس . وازداد شعره حسناً بما ذكره من سابق دعائه الصالح وكيفية انقلابه عليه شؤماً وحرماناً . وقال كمال الدين بن النبيه في وصف كوكب الصبح :

وكوكب الصبح نجاب على يده مخلق تمسلاً الدنيا بشائره
وهو وصف جديد جيد للكوكب المذكور لابتعب الذهن في استحضار صورته . وقد قصرت عن ذلك همه غيره من الشعراء فاكتفوا بما ألفوه وتوارثوه من التشبيهات . وأراد بقوله مخلق طرساً مخلقاً او كتاباً مخلقاً أي مضمخاً بالخلق بفتح الخاء وهو نوع من الطيب يكثر فيه الزعفران .

وقال مروان بن أبي حفصة في رثاء الأمير الشيباني معن بن زائدة ذاكراً
وجه شبه للمطر :

ففى عيش في معروفة بعد موته كما كان بعد الغيث مجراه مرتعا
وقد تعودنا ان نرى الشعراء يشبهون ممدوحهم بالمطر في غزارة هطله وضمائه
للخصب والخير . فانتقل ان ابي حفصة من هذه الناحية الى ناحية جديدة قائلاً
ان الأمطار قد تزول وتبقى آثار خيرها في المغارس والمزروعات وهكذا كان
الأمير المرثي معن بن زائدة .

وقد عهدنا الشعراء يذكرون أوجه شبه متعدد للغمام من تشبيهه بهطول الغيث
أو من علوه في الجو أو من اطراد سيره بين البطء والسرعة الى غير ذلك مما
قرع الاسماع كثيراً ولكن شاعرية كثير عنزة لم تقنع بهذه المعاني المتبدلة
بل التفت الى ظل الغامة ورأى خيبة من يعول عليه ويحاول ان يقبل ان
ينام نومة الظهيرة في هذا الظل فقال متصدياً لذكر مقاطعة بينه وبين محبوبته
عنزة مما كان يحز في صدره :

واني وتهيبي بعزة بعدما تخليت عما بيننا وتخلت

لكالمرتحلي ظل الغامة كلما تبوأ منها للمعيل اضمحلت

وذكر احد قدماء الشعراء الرياح مشيراً الى حالة دقيقة من حالاتها اذ قال
ان الرياح اذا تناوحت اي هبت من نواح مختلفة الصقت بجسم حبيبته الحسناء
اجزاء ثوبها بحيث تظهر محاسن جسمها في تركيبه الطبيعي الجميل فتستثير
حسد النساء لها وغيرة العاشقين عليها . وهذا الذي قاله الشاعر والشاهد في
البيت الثاني . وفي البيتين رشافة اداء وبلاغة ايجاز :

ابت الروادف والتدي لقمصها مس البطون وان تمس ظهورا

واذا الرياح مع العشي تناوحت نهن حاسدة وهجن غيورا

شواهد التنزه الأدبي في المحسوسات الأرضية

من المعاني المستحدثة قول بعضهم في الأرض :
 سألت الأرض لم كانت مهاداً ولم تجعل لنا طهراً وطيباً
 فقالت غير ناطقة لأنني حوت لكل انسان حبيساً
 وقال الأمير ابوفراس الحمداني في التراب : والشاهد في البيت الثالث :
 فليتك فحلوا والحياة مريرة وليتك ترضى والأنام غضاب
 وليت الذي بيني وبينك عامر وبينى وبين العالمين خراب
 اذا صبح منك الود يا غاية المنى فكل الذي فوق التراب تراب
 واستفخرج بعضهم معنى شعرياً علمياً قائلاً ان السحاب لا فضل له على البحر
 لأنه اتخذ قطراته من قطرات البحر المتبخرة . فشبه بهذه الحالة حاله باهدائه
 الشكر الى المتفضلين عليه حيث قال :
 أهدي له حسن الشناء وإنما أهدي له ما حزت من نعمائه
 كالبحر يطره السحاب وما له فضل عليه لأنه من مائه
 وأشار احد الشعراء ضميماً الى البئر - وأظنه ابا الأسود الدؤلي واضع علم النحو -
 فقال ان البئر قد تملأ الدلو ماء زلالاً صافياً وقد تملأها وحلاً يخالطه شيء
 يسير من الماء بحيث يمكن تصفيته والانتفاع به . مشبهاً بهذا المعنى الطريف
 سمى الانسان لمعبشته فيكون نصيبه الفلاح التام تارة ، وشيء زهيد من
 الفلاح تارة أخرى ، قال :

وما طلب المعبشة بالتمني ولكن التوكل في الدلاء
 تجي بملأها طوراً وطوراً تجي بجارة وقليل ماء
 وفي ذكر الجبل قال أحد الشعراء :
 ويا جبلي نعمات بالله خليا نسيم الصبا يخلص الي نسيمها

وقال آخر ذا كراً الليل وما فيه من حيرة وعجز عن دفع الضيم :
 كالسيل في الليل لا بدري به احد من اين جاء ولا من اين يأتيه
 وأحسن من هذه الاشارة الى الليل ما قاله ابو الطيب المتنبى في معرض
 تغزل وتشبيب :

وكما لسواد الليل عندي من يدري ان الماوية تكذب
 أراد بالماوية الملة الماوية نسبة الى مؤسسها ماني الفارسي ومن عقائدها
 الجوهريّة ان الظلام هو إله الشر .
 وقد ذكر النابغة الذبياني الليل أيضاً اعتذاراً الى ابي قابوس النعمان فقال :
 فانك كالليل الذي هو مدركي وان قلت ان المنتأى عنك واسع
 وعدل بعضهم عن وصف السيف بالمضاء والافتاء الى ذكر حالة أخرى
 من أحواله قائلاً :

كذا السيف ان لا يفته لان منته ~~وحداه~~ ان خاشته خشان
 وفي ذكر السهم قال الأمير ابو فراس الحمداني واصفاً احدي المعارك :
 ولما صار سيف الدين ثرتاً ~~كما هيبت أسداً غضابا~~
 وكنا كالسهم اذا اصاب مراميها فراميها اصابا
 ان هذا البيت الأخير من أدل الأبيات على قوة شاعرية الناظم وجودة
 نصوره . فقد عهدنا الشعراء يشبهون صاحب العزم بالسهم جاعلين المضاء والنفاذ
 وجه شبه . وهو وجه حسن لا بأس فيه . ولكن ممة ابي فراس لم تقنع به
 لكثرة ما استعمل حتى ابتذل وسئمته الاسماع او كادت تسأمه بل التفت الى
 وجه جديد ادق وابعد غوراً فقد قصد في بيته المذكور انه لم يكن شيء
 يعوقهم عن الظفر بالأعداء الا عدم لقائهم فلما لقوهم أصبح النصر محققاً وكان
 مثلهم مثل السهم فبحجرد وصولها الى هدفها تفعل فيه فعلها الرهيب ويكون
 راميها قد اصاب . فالبيت يحسب من معجزات الایجاز . م (٤) .

شواهد التنزه الأدبي

في الناس وبعض شؤونهم

لقد خلق في الطبقة العليا من جو الفضيلة والانسانية من أوصى الانسان
ان يمد البشر كلهم احبائه والأرض على رحب أقطارها داراً له ومأوى وملجأ
أميتاً من قال :

تصور الناس كلهم سكننا ومثل الأرض كلها دارا
والسكن بفتح الكاف هو الحبيب الذي تسكن اليه نفسك اي ترتاح اليه .
وقال أبو الطيب المتنبي في دموع الحب :

أبكر خدي دموعي وقد جرت منه في سلك سابل
أول دمع جرى فوقه وأول حزن على راحل
ولو زلتم ثم لم أبكمكم بكيت على حي الزائل
وقال أحدهم في العيش :

ما العيش إلا أن تحسب وان يحبك من تحبه
وقال المتنبي في الموت :

ألف هذا الهواء اوقع في الأنفس ان المات مر المذاق
وقال فيه أيضاً :

واذا لم يكن من الموت بدء فن العجز ان تموت جباناً

كلمة ختام

ان هذه الناذج الشعرية فضلاً عما اشتملت عليه من طائفة طيبة تنبطن
فائدة جليلة لكل أدب ومنتأدب اذ تنبه ذهنه وتدله على كثير من الطرق
في اجتناب المبتذلات والارتقاء الى سدة الطريف المستعذب في المعاني وأساليب
الاداء وقد لا يقل الأسلوب مقاماً عن جوهر المعنى المقصود . ومعلوم ان

ناحية واسعة من منشور القول وهي الناحية الحادية لموضوعات ألفها الشعر والشعراء
تدخل تحت هذا الحكم وهذه النظرية .

فخري يحزب الأدب واعوانه وخدامه العاملين في حقله ان يناقش كل منهم
نفسه ادق مناقشة حين يؤدي قولاً منظوماً أو منشوراً لكي يتجافى به عن
مواضع الرثاثة والابتذال ويسير قاصداً ردهة الاجادة فان لم يبلغ صدرها ولم
يتوسطها فالأرجح انه لا تفوقه عتبتها ومن ثم ينصف نفسه ويصوت كرامته
ويرضي القراء والسامعين اذ يعفهم من السامة والملل في الاصفاء الى قناطر
من الكلام ليس تحتها شيء من الفائدة واللذة او تحت تلك القناطر درهم منها
أو درهمان . ولعمري لا ادري لماذا لا يتحمل الأديب من الوقت والعناء في
نظم أبيات يسيرة ما تعود ان يتحملة في نظم خمسين او ستين بيتاً . فلو اتخذ
أولئك المكثرون المقصرون هذه الخطة في الاقلال من النظم مع زيادة اجتهاد
فيه وعناية به لرأبنا الجحدين من الناظمين حوالينا يزيدون على خمسين في المئة
مع انهم في حالتهم الحاضرة يقولون عن عشرة في المئة . وبارحم الله القائل :
والناس مثل بيوت الشعر كم رجل منهم بألف وكم بيت بدوياف

ادوار سرقص

(اللاذقية)

في النقد الأدبي

على هامش النثر الفني

الاعجاب بالنفس أخطر ما يصيب الباحث المفكر لأنه ينجيل اليه التفوق والتبوغ ،
ويزين له الغرور بما يكون منه من عمل ، والفتون بما يرى من رأى أو يلفظ
من قول . وكلما تتابعت الأيام تمكن منه ، وغلبه على عقله ، وران على فكره ،
وغطى على بصره ، فلا يبصر الا محاسنه ، ولا يفكر إلا في عظمته ، ولا يعقل
إلا ما يتصل بهذه المحاسن وتلك العظمة من قريب أو بعيد . ومن هنا كانت
خطوئته على المفكر لأنه ليس كغيره من الناس يفكر لنفسه ويحبس عليها
تفكيرها أو يذيعه في تلك البيئة السيرة القصيرة التي تحيط به من المعارف
والأصدقاء ، وإنما هو مولع بالتفكير للناس لا يكاد ينتهي الى رأى في العلم ،
أو نظرية في الفن ، أو نظرة عابرة فيما دون ذلك إلا وهو آخذ بأسباب اذاعتها ،
عامل على نشرها بين الناس جميعاً ، لا يهدأ له بال ، ولا يطمئن له خاطر حتى
يمرض فكره وعقله وقلبه ويظهر الناس على ما كان يعتلج فيها من أسرار ،
ويتملج من آراء ، يضطرب من مشاعر . فاذا لم يأخذ الباحث حذره من شيطان
الاعجاب وبتم نفسه في رغائبها ، ويمجادها عن منازعها ، ويفاتش ضميره جاهداً ،
ويراجع عقله ، ويقايس بين أفكاره حتى يميز الخبيث من الطيب أهلكه الاعجاب ،
وأخل ذكره ، وعرضه لألوان من النقد اللاذع ، وفتون من التهمك المرو
لا قبل له يتحملها ، لا صبر له على بأسها ، وان بأسها شديد ، والحق الذي
لا مربة فيه ان ألوان الخطأ التي يدفع اليها الاعجاب على عظمتها وغرابتها ما كانت
لتنفع لو لا تلك الحجب الكثيفة التي يضر بها على العقل ، ويمحو بها بين المرء

وقلبه . لا تكاد الفكرة تطرق ذهن المعجب بنفسه حتى تستحيل الى رأي ، ولا يلبث الرأي حتى يستحيل الى عقيدة تملأ مسارب النفس ، وتأخذ بمسالك الوجدان فيعتنقها ويجادل عنها ما وسعته المجادلة وأمدد البيان ، وان كان خطأها بادياً للعيان لأنها وليدة الاعجاب الفتان .

ومن هذا القبيل تلك الفكرة التي اعتقدها الدكتور زكي مبارك في أبي حيان التوحيدي ، وكانت مبعث خطئه في احكامه عليه . اعتقد انه رجل أنشأ الحق على الموهوبين من أهل العلم والأدب واجاه ، وأديب متشرد أفاق يرجع نبوغه الى حسده وحقده وثورته على الحياة والأحياء . وهو فوق هذا ، ذاك مفكر كذاب . أنطق معاصريه بما شاء من الأقوال والآراء ، وسجوا في كفيه معزة لهم زراً وبهتاناً . وانه اصاحبها ومخلفها فعليه وحده تقع ثبوتها ، واليه . ج . نقد الناصحين ، وطعن الطاعنين وفي ضوء تلك الفكرة أرى في ظلامها كتب الدكتور ما كتب عن أبي حيان ، وحكم عليه بما حكم غفوات احكامه بعبدة عن الصواب بعد الفكرة التي صدرت عنها حكم الدكتور على التوحيدي بأنه متحامل على معاصريه وضرب لذلك أمثالا لا تؤيد حكمه ، وانما تؤيد ظلمه العنيف له وقسوته عليه . ومن ذلك ما كتبه في ترجمة أبي عبد الله المرزباني (١٢ / ٣) : « كان معروفاً بسعة المعرفة وكثرة السماع ، وكان معاصره يرونه من محاسن الدنيا ، ومنهم من يقدمه على الجاحظ . ولعل ذلك هو السبب في تحامل بعض المفرضين عليه [كآبي حيان التوحيدي الذي كان يقارنه بآبن شاذان وابن اخلال من كن لهم جمع ورواية وليس لهم فيها جمعه نقط ولا إعجاب ، ولا إسراج ، ولا إجماع] . ومن المدهش حقاً ان الدكتور ينقم على التوحيدي هذا الرأي ويتهمه من أجله بالتعامل ، ثم لا يلبث الا قليلاً حتى يعرضه علينا على انه رأيه الذي ارتآه بعد طول البحث وكثرة المراجعة كتب في (ص ١٢٣) في نقد بعض كتب المرزباني يقول : « وبعد المراجعة المتعددة لم نظفر بما يميزه عن غيره من مصنفي الروايات والأخبار » .

وليس بين الرأيين من فرق إلا ان الثاني نفس الأول وقائله الدكتور فهو وليد الانصاف وحسن النية . وصاحب الأول ابو حيان فهو إذاً دليل التعامل وسوء الطوية . ومن ذلك ما كتبه الدكتور في ترجمة ابن مسكويه (١٤٦/٢) : « قد أولع التوحيدي بهاجمة ابن مسكويه . ورماء بمدح الجود باللسان ، وايشار الشح بالفعل ، وادعاء الحكمة ، والتكلف في الأخلاق . ولنتظر كيف يقول : قال لي مسكويه مرة : أما ترى الى خطأ صاحبنا ابن العميد في اعطائه فلاناً ألف دينار ضربة واحدة ! لقد أضاع هذا المال الخطير فيمن لا يستحق . فقلت بعد ما أطلال الحديث وتقطع بالأسف : أيها الشيخ ، اني أسألك عن شيء واحد فاصدق فانه لا مدب للكذب بيبي وبينك : لو غلط صاحبك فيك بهذا العطاء وبأضعافه وأضعافه أضاعته أكنت تخيله في نفسك مخطئاً ومبذراً ومفسداً أو جاهلاً بحق المال ؟ أو كنت تقول : ما أحسن ما فعل ، ولينه أرى عليه ! فان كان الذي تسمع على حقيقته فاعلم ان الذي يرد ورد مقالك إنما هو الحسد أو شيء آخر من جنسه ، وأنت تدعي الحكمة وتتكلف في الأخلاق ، وتزيف الزائف وتختار المختار ، فافطن لأمرك ، واطلع على شرك وشرك » طار الدكتور فرحاً بهذا الحديث وتقله مرتين (في ص ١٣٧ وفي ص ١٤٧) وعقب عليه في الأولى بقوله : « ولو انه حاسب نفسه بمثل ما حاسب به ابن مسكويه لرأى ثورته على أهل زمانه تأخذ وقودها من قلب حاسد حقود » وعقب في الثانية بقوله : « ونحن نعرف من هذا التعامل من جانب التوحيدي ، فقد كان شديد الحقد على المحدودين من أهل زمانه وخاصة من اتصلوا بالملوك والرؤساء . ولنا أن نضيف الى ذلك نجاح ابن مسكويه في حياته العملية فقد كان الرجل فيما يظهر منزه الأخلاق ، ومثانة الخلق قوة مرعبة برعد لها الأدياء المساكين الذين ابتلوا بالطمع في هدايا الملوك والوزراء وألفوا التزلف والتودد الى أنطاب المال والجاه . والأديب الذي يعتمد على نفسه وعلى خلقه وعلى كفايته الذاتية يعيش

في الأظب غريباً بين معاصريه من الأدباء ، فليس عجيباً أن يتحامل أديب
 منشرد أفاق كالتوحيدى على أدب موفق مطمئن يعيش كابن مسكويه . ولو
 شئنا لأضفنا نزعة ابن مسكويه الفلسفية فهي كذلك من أسباب حقد التوحيدى
 عليه فقد كان التوحيدى واسع الثقافة إلى حد مدهش ، وكان يطعم في التفرد
 بالسعة العلمية والأدبية والفلسفية بين رجال ذلك العهد . . ليس فيما قاله أبو حيان
 لابن مسكويه وهو يحاوره في جائزة ابن العميد تحامل دفعه إليه الحسد والحقد
 كما يقول الدكتور ، وإنما فيه الصدق والانصاف اللذان يحمدا عليهما أجل الحمد .
 أما الصدق فلأنه صرح ابن مسكويه برأيه ، وأبان له خطأه في لوم ابن العميد
 على إجزال عطيته إن رآه أهلاً لها . وأما الانصاف ففي دفاعه عن تصرف
 ابن العميد مع ما بينهما من ألوان العدا وحنوف الشحنة . وإن كنت
 هناك حسد وحقد فيجب أن بوصف بها ابن مسكويه الذي حسد صاحب
 الجائزة على جائزته ، وثارت ثائرته على صاحبه ابن العميد . فإن منه على ما بينهما
 من صفاء وولاء . ومع هذا يصفه الدكتور بأنه متبن الاخلاق ! . يدف التوحيدى
 بالحسد والحقد والتحامل ! وهذا تحامل عنيف واسراف في اختلاق المحاسن -
 والمساوي وتوزيعها وفق ما تشتهي النفس المغرضة ، ويمليه الهوى الجوح . وقد
 دفعه تحامله لى أن يصف التوحيدى بأنه أدب منشرد أفاق ألف الترف
 والتودد الى أقطاب المال والجاه قد تحامل على ابن مسكويه لأنه أدب مطمئن
 العيش قد اعتمد على نفسه وعلى خلقه وعلى كفايته الذاتية ولم يطعم في هدايا
 الملوك والوزراء . وليس ذلك من الحق في شيء فقد ترف ابن مسكويه وتودد
 الى أقطاب المال والجاه ، وعاش ماعاش على مال الأمراء والوزراء الذين صحبهم
 وعمل لهم : خدم الوزير المهلبى ولما توفي سافر الى ابن العميد وظل في خدمته
 حتى قضى نجه فانصل من بعده بابنه أبي الفتح ابن العميد ، ولما دالت دولته
 سارع الى عضد الدولة بن بويه وهكذا كانت حياته سلسلة متصلة الحلقات

في خدمة الأشراف والوزراء . فلا يفضل أبا حيان من تلك الناحية ولكن الهوى الغلاب يسبغ على من يشاء ما شاء من الصفات والميزات وإن لم تثبت للنقد إلا بمقدار ما يلقفها . ولعل أعظم دليل على إغراق الدكتور في التهامل على أبي حيان وإسرافه في ظلمه ما عقب به على رأي ابن خلكان الذي نقله عنه (١٩٦/٢)
 روى ابن خلكان أن ابن نباتة السعدي مدح ابن العميد بقصيدة مطلعها :

برح اشتياق وادكار ولميب أنفاس حرار

ولما تأخرت صلاته عنه شفعها بأخرى ، وأتبعها برقعة فلم يزد على الإهمال فضاقت بذلك ذرعاً ودخل عليه فأغلظ له القول حتى قال له : إن الغني إذا مطل لثيم فغضب ابن العميد وقال : ما استقدمتك بكتاب ، ولا استدعيتك برسول ، ولا سألتك مدحي ، ولا كافنك تقرظي . فقال : صدقت أيها الرئيس ، ولكن جلست في صدر ديوانك بأيمتك وقلت : لا يخاطبني أحد إلا بالرياسة ، ولا ينازعني خلق في أحكام السياسة . . . فكانت دعوتي بلسان الحال ولم تدعني بلسان المقال . فنار ابن العميد مغضباً ، ولما سكنت عنه الغضب اتهمه ليعتذر إليه فكأنما غاص في سمع الأرض وبصرها . قال ابن خلكان بعد ذلك : « ثم إني وجدت هذه القصيدة وصورة هذا المجلس منسوبين إلى غير ابن نباتة ، وكشفت في ديوانه فلم أر هذه القصيدة فيه ، ثم وجدت في كتاب مثالب الوزراء لابن أبي حيان التوحيدي هذه القصيدة لأبي محمد عبد الرزاق بن الحسن المعروف بابن السياب اللغوي المنطقي الشاعر ، وهذه المخاطبة لشاعر من أهل الكرخ يعرف بموته والله أعلم » . وعقب الدكتور على هذا بقوله : « ونحن نأسف على أن لم نتمكن من الاطلاع على مثالب الوزراء ولو أتيح لنا الاطلاع عليه لاستطعنا تخطئة ابن خلكان فأننا نجزم جزماً قاطعاً أن هذا المجلس من صنع التوحيدي ، ولا يضيرنا أن النسبة لم تصح بطريقة علمية فأننا نعرف التوحيدي معرفة قوية لطول ما صاحبناه وعاشرناه . ولو أقيمت جملة من كلامه في أكادس من الورق لميزناها

لأول نظرة ، فليكن الشاعر من يكون ، وليكن المخاطب من يكون فان واضع المجلس هو التوحيدى على كل حال . ولا يبقى الا أن نرجح أنه أداره على ابن العميد لا على غيره لان هذه الحفيظة ما كانت لتثور في هذه القوة على رئيس غير ابن العميد الذي شغل بثله وتجيجه حيناً من الزمان « ولست أدري ما الذي يستفيد الدكتور من الاطلاع على هذا الكتاب في تخطئة ان خلكان ولا في ماذا يخطئه ؟ أيكذبه في أنه رأى القصيدة فيه منسوبة لابن السياب اللغوي والمخاطبة للشاعر الكرخي ؟ لا سبيل الى تكذيبه في ذلك ففي ماذا يخطئه إذن ؟ لست أدري وأعتقد ان الدكتور نفسه لا يدري ! ثم يجزم الدكتور جزماً قاطعاً بأن المجلس من صنع التوحيدى مع اعترافه الصريح بأن نسبته إليه لم تصح بطريقة علمية ! وهذا دليل وهاج على ان الدكتور لا يقيم للعلم وزناً ولا يسلك سبيله إلا إذا وافق ما يزينه شيطان الانجاب ، أما إذا خالف عن أمره ، ولم يؤيد منطق الهوى فانه يتشكبه فخوراً ، ويتبع الظن الذي يغني - عنده - عن العلم والحق كل الغناء . ولا تثريب عليه من متابعة هذا الظن الذي بناه العلم ولا يقره بحال من الأحوال فانه - بزعمه - يعرف التوحيدى معرفة قوية لطول ما صاحبه وعاشره ، ومن أدري بالصاحب من صاحبه ، وأعرف بالعشير من معاشره . ولو كان لهذا الادعاء العريض نصيب من الصدق لما أسرف في ثلب أبي حيان ووقف منه موقف العدو الذي لا يرقب في عدوه إلا ولاذمه ، ولو راجع عقله ، وفاتش ضميره ، ونهى النفس عن الهوى لقضى في أمره بالحق والعدل كما يصنع العلماء المنصفون .

(القاهرة)

السيد أحمد صقر

المدرس بمدرسة الليسيه الفرنسية
بمصر الجديدة

مخطوطات ومطبوعات

الزخيرة في محاسن أهل الجزيرة

تأليف أبي الحسن علي بن إسام الشنتريني المتوفى سنة ٥٤٢ هـ
القسم الرابع — المجلد الأول طبع في مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر
في القاهرة سنة ١٣٦٤ ١٩٤٥ م في ٢٣٨ صفحة

لا تزال كلية الآداب في جامعة فؤاد الأول توالي نشر أجزاء كتاب الزخيرة بعناية لا يصدر مثلها عن غير أساتذة محنكين . ويحتوي هذا الجزء على سيرة أبي العلاء صاعد بن الحسن البغدادي ونثره وشعره وأخباره مع المنصور بن أبي عامر وأخبار أبي مروان عبد الملك بن شبة وأخبار دولة ابن أبي عامر وابنه بعده وأخبار محمد بن عبد الواحد البغدادي الدارمي وصليان بن محمد الصقلي وثابت بن محمد الجرجاني وعبد العزيز بن محمد السنوسي إلى أمثالهم من العلماء الطائفة على الاندلس من المشرق وغيره وفي هذا الجزء أيضاً جملة من أخبار بني ذي النون وسيرة محمد بن شرف ومنشوره ومنظومه وأخبار ابن السقاء القرطبي وشعره وأبي الحسن علي بن عبد الغني الكندي المعروف بالحصري .

وفي هذا الجزء وصف إعدار (ختان) حفيد المأمون بمجي بن ذي النون ومما جاء فيه في إكرام الطبقات في هذا الحفل : « ولما فرغت تلك الطائفة جيء بهم إلى المجلس المرسوم لوضوئهم ، وقد فرش أيضاً بوطاء الوشي المرقوم بالذهب وعلقت فيه ستور مثقلة مائلة فأخذوا بحالهم منه وناداهم الوصفاء الطائفون بهم رفيع النقارات والذرائر المطيبات في الأقداح والأشنادانات الفضيات المحكمة الصناعات كادت تغنيهم بطيها عن الفصل ثم أدلى إليهم إثر ذلك الضوء في

أباريق الفضة المحككة الصنعة يصبون على أيديهم في طسوس الفضة المائلة لأباريقها في الحسن والجلالة فاستوعبوا الضوء وأوفيت من أيديهم مناديل تتضاءل لها ما عليهم من سني الكسوة ثم نقلوا الى مجلس التطيب افخم تلك المجالس وهو المجلس المطل على النهر العالي البناء السامي السناء فشرع في تطيبهم في مجامر الفضة البديعة بفلق العود الهندي المشوبة بقطع العنبر المفتقي بعد ان 'نديت اعراض ثيابهم بشآبيب ماء الورد الجوري 'يصب فوق رؤوسهم من أواني الزجاج المجدود ، وفيآشات البلور المحفورة ثم أدلى اليهم قوارير الميا المحككة الصنعة الرائعة الهيئة قد أنزعت بالغوالي الذككية ، النامة بسرهما قبل الخبرة ، المتخذة من خالص المسك الثبتي . ومحض العنبر المغربي ، لأم بينها رشع البان البرمكي فتناولوا من ذلك حتى لا قطر سبالم ذوبانا ، واعادت شبيهم شبانا فلما استتم هؤلاء الخلة نعم يومهم من طعمهم وطيبهم أقيموا للدخول على المأمون . . . ثم وصف القصر والأنهاء ، وما فيها من صور ونقوش ، قال ابن حيان (مؤرخ الأندلس) : وذهب المأمون الى تقيم تكريم زواره من رجال الأمراء الذين استحضروهم يومئذ لشهود فرحته ، بمشاهدة مجلس خلوته ، وتنعيم اسماعهم بلذات اغانيه ، وقد علم ان فيهم من 'برخص في التبيذ ولا يسوغ لهم نعيم دونه ، فاحتفل حرج ذلك مبالغة في تأنيسهم ، فاحتفل لهم في مجلس قد 'نضد وأحضر فيه جميع آلات الأانس ، فلما استوى بالقوم مجلسهم واشترأبوا الى الأخذ في شأنهم ، قرب اليهم أطعمة تنورية ، جوامد وباردة ، وصنوفاً من المصوص والأشربة والطبايح ، موائد مترعة اتخذوها 'بسطاً لتبيذهم ، ثم انشأوا الى الشراب ونفوسهم به صبة ، وقد مدت ستارة الغناء لأهل الحجاب ، ونظمت نوبة المفضين زمراً فهاجوا الاطراب واستغنوا الألباب ونقلوا الطبايع فجاءوا بأمر عجاب . . .

يوسف شلحت ؛ علم الاجتماع الديني

قد يكون من الصعب جداً في الوقت الحاضر ان يؤلف العلماء كتاباً في علم الاجتماع العام مستوفياً جميع الشروط العلمية الصحيحة . وقد يكون أصعب من ذلك ايضاً ان يضعوا كتاباً صحيحاً مضبوطاً في علم الاجتماع الديني .

والسبب في ذلك ان حقائق علم الاجتماع لم تصبح بعد نهائية كحقائق العلوم الرياضية والطبيعية . فاذا اراد العالم ان يعرض مسائلها بأسلوب علمي واضح ، ويرتب مبادئها وقوانينها ، لقي في ذلك عناء كبيراً لفقدان كثير من الحلقات المتوسطة ، ولعدم استقرار الحقائق الاجتماعية على شكل نهائي ثابت . ان علم الاجتماع حديث النشأة ، وموضوعه كما قال (ارغوست كوت) اكثر موضوعات العلوم تعقداً واشتباكاً . والموضوعات المعقدة تحتاج الى طريقة علمية مضبوطة وقواعد ثابتة دقيقة . فاذا اخل العالم بأصل من أصولها ، او اهمل شرطاً من شروطها ، ناه في بيدها الوهم وضل سواء السبيل . وقد يظن انه ادرك ضالته المشوذة وبلغ العلم اليقيني ، وهو في الحقيقة لم يدرك الا البرق الخلب . ان السيارة المفككة المحاور تكفي للسير بسرعة في الطريق المعبدة ، اما الطريق الوعرة فتحتاج الى سيارة محكمة التركيب قوية المحرك . لذلك كانت المباحث الاجتماعية أحوج الموضوعات العلمية الى طريقة مضبوطة واستقصاء تام ، ولذلك ايضاً كان أقل خطأ في الاستقرار والتحليل باعثاً على التعليل الفاسد والتضليل .

وما يصدق على علم الاجتماع العام ينطبق ايضاً على علم الاجتماع الديني ، لا بل هو في هذا العلم اظهر واين . لأن موضوع علم الاجتماع الديني كما قال (دوركهام) ، انما هو البحث في العقائد والفرائض والأفعال المتعلقة بالأشياء المقدسة . فيه يميز الحرام من الحلال ، والمقدس من غير المقدس ، والظاهر من النجس . وهي امور منقولة اليها بالتربية والتقليد والتلقين . لا حيلة لنا في الأخذ بها أو في ردها . فقد نشأ على العقائد الدينية الموروثة كما قال الغزالي بتقليد

الوالدين والمعلمين . ثم قد يتحرك باطننا الى طلب اليقين فتتكشف لعقولنا حقيقة الدين انكشافاً لا ريب فيه فنرضى بها ونطمئن اليها . وقد يتسرب الشك الى قلوبنا فنردها ، ونقايم الرأي العام بخروجنا عليها ، الا انها في جميع هذه الاحوال لا تتخلو من صفة الجبر . بل تفرض علينا فرضاً ، ونضغطنا ، ونضطرنا الى اتباعها . وهذا يدل على ان الأمور الدينية ليست من الأمور الخارجية المستقلة عن نفوسنا بل هي خارجية وداخلية معاً . ومتى كانت الأشياء الخارجية مازجة للارادات والخواطف كان اتباع الطريقة العلمية فيها اصعب وادق .

ومع ذلك فان علماء الاجتماع لم يعجزوا عن السير في طريقهم الذي انتهجوه فقرروا اولاً ان الظواهر الاجتماعية اشياء خارجية غير مسيرة بارادة الانسان ، وانه لا يجوز الاقتصار في تعليمها على العوامل النفسية الفردية ، وانها خاضعة لقوانين طبيعية ضرورية كغيرها من الظواهر . ثم انهم سلكوا في بحثهم عن هذه القوانين طريقة علمية صحيحة ، مبنية على الاستقراء والتحليل ، والاستقصاء والمقارنة . وساروا في ذلك قدماً حتى بلغوا بعلم الاجتماع ، خلال نصف قرن ، درجة من الضبط ، قلما بلغها علم من العلوم في نشأته الاولى . وهذا يبشر علم الاجتماع بمستقبل عظيم ، قد يكون له في اصلاح الحياة الانسانية اثر عميق ، لأن نطاقه سيكون واسعاً ، تدخل فيه الحياة المنزلية ، والاقتصادية ، والسياسية ، والحقوقية ، والدولية ، والدينية ، والفنية .

لقد اثارت آراء (دور كهايم) في علم الاجتماع بصورة عامة ، وفي علم الاجتماع الديني بصورة خاصة ، ضجة عظيمة . فانتقده بعضهم لقوله بروح اجتماعية كلية مختلفة عن النفس الفردية ، وزعمه ان لهذه الروح وجوداً حقيقياً شبيهاً بوجود الذوات الروحانية والعقول المفارقة . وانتقدوه ايضاً لزعمه ان العقائد الدينية والفرائض والأخلاق هي أشياء خارجية ليس غير . ولكن علم الاجتماع قد صحح بعد ذلك كثيراً من هذه الآراء ، فأخذ بمبدأ التقيد الطبيعي ، واعتمد على الملاحظة ، والاحصاء ،

والتاريخ ، والمقارنة . ومهما يكن من أمر فإن علم الاجتماع لا ينكر وجود الديانة ، بل يعتبرها اصلاً ضرورياً من أصول الحياة الاجتماعية . وغاية ما يرجوه علماء الاجتماع ان يعملوا نشأة الديانات المختلفة ، ويدينوا مراحل تطورها ، بطريقة علمية وضعية ، من غير ان يتعرضوا للبحث في أصلها السماوي بالنفي او الاثبات . وفي الكتاب الذي جمعه السيد يوسف شلحت دليل واضح على ذلك . وهو فيما نعلم اول محاولة باللغة العربية للبحث في نشأة الديانات بطريقة علمية . الا ان هذه المحاولة كغيرها من المحاولات في اللغات الأجنبية ، لم تبلغ بعد درجة العلم اليقيني . ففيها كثير من الآراء والنظريات ، وفيها كثير من التردد والاتواء ، وهي تستثير ، كما قال (دوركهيم) نفسه عن آرائه ، دهشة القراء . وهذا لا ينقص من قيمتها ، بل انه سيدفع الباحثين عن حقيقة الديانة الى الاقتباس منها ، او الى نقدها ، وبيان نقاط الضعف فيها ، للوصول الى ما هو اتم واكمل . ان العلم اليقيني لا يخلق كاملاً كما خلقت (فينوس) ، بل يكامل شيئاً فشيئاً ، ويتبع في نشوئه مراحل كثيرة منها ما هو تقدم وارتقاء ، ومنها ما هو تأخر والتواء ، ان الانهار الكبيرة لا تتكون الا من اجتماع الجداول الصغيرة . وحسب مؤلف هذا الكتاب ان يكون احد هذه الجداول .

جميعاً صلياً

الركنور ولهم شكل ؛ أفنعه الحب

قله الى العربية وشرحه الاستاذ أحمد سامح الخالدي ونشرته مكتبة فلسطين العلمية
طبع بمطبعة بيت القدس في القدس عام ١٩٤٦ ، وعدد صفحاته ١٦٤ من القطع الوسط

ليس في الكتب النفسية كتاب هو أمتع ولا أفنعه من الكتب المشغلة على وصف الحياة الباطنية . تقرأ الكتاب في ليلة واحدة او ليلتين فيخيل اليك انك في عالم غير هذا العالم ، تطل منه على العواطف المكتوبة والفرائز المكونة والأحلام المرموقة . ثم إنك اذا اطلمت على ذلك كله أدركت ان كثيراً من أفعالنا وانفعالاتنا

والتاريخ ، والمقارنة . ومهما يكن من أمر فإن علم الاجتماع لا ينكر وجود الديانة ، بل يعتبرها اصلاً ضرورياً من أصول الحياة الاجتماعية . وغاية ما يرجوه علماء الاجتماع ان يعملوا نشأة الديانات المختلفة ، ويدينوا مراحل تطورها ، بطريقة علمية وضعية ، من غير ان يتعرضوا للبحث في أصلها السماوي بالنفي او الاثبات . وفي الكتاب الذي جمعه السيد يوسف شلحت دليل واضح على ذلك . وهو فيما نعلم اول محاولة باللغة العربية للبحث في نشأة الديانات بطريقة علمية . الا ان هذه المحاولة كغيرها من المحاولات في اللغات الأجنبية ، لم تبلغ بعد درجة العلم اليقيني . ففيها كثير من الآراء والنظريات ، وفيها كثير من التردد والاتواء ، وهي تستثير ، كما قال (دور كهايم) نفسه عن آرائه ، دهشة القراء . وهذا لا ينقص من قيمتها ، بل انه سيدفع الباحثين عن حقيقة الديانة الى الاقتباس منها ، او الى نقدها ، وبيان نقاط الضعف فيها ، للوصول الى ما هو اتم واكمل . ان العلم اليقيني لا يخلق كاملاً كما خلقت (فينوس) ، بل يكامل شيئاً فشيئاً ، ويتبع في نشوئه مراحل كثيرة منها ما هو تقدم وارتقاء ، ومنها ما هو تأخر والتواء ، ان الانهار الكبيرة لا تتكون الا من اجتماع الجداول الصغيرة . وحسب مؤلف هذا الكتاب ان يكون احد هذه الجداول .

جميعاً صلياً

الركنور ولهم شكل ؛ أفنعه الحب

نقله الى العربية وشرحه الاستاذ أحمد سامح الخالدي ونشرته مكتبة فلسطين العلمية
طبع بمطبعة بيت القدس في القدس عام ١٩٤٦ ، وعدد صفحاته ١٦٤ من القطع الوسط

ليس في الكتب النفسية كتاب هو أمتع ولا أفنعه من الكتب المشغلة على وصف الحياة الباطنية . تقرأ الكتاب في ليلة واحدة او ليلتين فيخيل اليك انك في عالم غير هذا العالم ، تطل منه على العواطف المكتوبة والفرائز المكونة والأحلام المرموقة . ثم إنك اذا اطلمت على ذلك كله أدركت ان كثيراً من أفعالنا وانفعالاتنا

واراداتنا إنما يرجع الى ميل مكبوت أو نزعة مخنوقة دفناها في القلب ثم حللنا بينها وبين العالم الخارجي بحجاب التربية وقيود المجتمع . ولكن هذه الرغبات المدفونة وراء حجاب الشعور لا تموت ، بل تتجمع بعضها فوق بعض ، ثم تمزق أكفانها وتحاول الظهور على مسرح الشعور ، يظهر جديد . وقد نطالب بحققها أكثر من ذلك فنشور على الحياة الواعية ، ويتبدى إذ ذاك نزاع شديد بينها قد يؤدي في النهاية الى الجنون .

وفي الكتاب الذي بين أيدينا وصف للأفئدة التي نعطي بها نزعاتنا ورغائبنا المدفونة كقناع العى الارادي وقناع الحساسية الشديدة ، وقناع الباعث الجنسي ، وقناع التردد ، وقناع الخوف من طيب الأسنان ، واردة المرض والقبح ، وضعف الارادة واختيار المهنة وغيرها سلك المؤلف في تحليلها طريقة أستاذة (فرويد) الذي أرجع كل شيء الى الغريزة الجنسية .

ومن الأمثلة الدالة على العى الارادي ضيق المجال البصري عند بعضهم وتعاميهم الارادي عن رؤية الأشياء ، وانصرافهم الى التجديق في فكرة محدودة راسخة ، ورغبة بعضهم الآخر في كل شيء حتى يشبهوا دوامة الماء التي لا تعرف الوقوف . فهم ابدأ في شغل شاغل يخشون ان تمر بهم ساعة فراغ ، ويشغلون انفسهم ليمنعوا من التفكير فيما لا يريدون أن يفكروا فيه .

ومن الأمثلة الدالة على الحساسية الشديدة حال الذين تتوتر أعصابهم فيتألمون من أقل شجة ولا ينامون الا اذا سكن كل شيء وقد ينفرون الى القرى طلباً للراحة فلا تعرف الراحة سبيلاً الى قلوبهم ، لأن آلامهم ناشئة عن سبب داخلي ، يخشون تمتعة صدورهم ويفرقون من سماع أصوات غريبة تدوي في آذانهم ، « بل من رنين او طنين او دق مستديم يشبه دق الأجراس » (ص - ٤٢) . ومن الأمثلة الدالة على افئدة الباعث الجنسي وقوع بعض الناس في امراض نعجز عن تحليل اسبابها ، وتكون امراضهم هذه بمثابة قناع يغطون به حبيهم .

وأقنعة الحب ثلاثة : الحياء ، والشوق ، والاحتقار . اما الحياء فهو اعتراف بالفريضة الجنسية واخفاء لباعث الحب . واما الشوق فهو دليل على الخوف من الذات . وله أشكال مختلفة ترجع جميعها الى اصل نفسي يحوله المريض الى إحساس . فالسيدة التمسة بحبها تنكر أسباب شقائها فتحولها الى ضيق في الصدر ، وأوجاع في القلب . والسيدة التي تكره زوجها وترغب في موته من نوبة صرع قد تصاب هي نفسها بخوف مرضي يشبه هذه النوبة . ومثل هذا كثير فهناك فتيات كن يعشقن رؤسهن ، وطالبات كن يعشقن اساتذتهن ، ونساء كن يحبن اصدقاء رجالهن ، أخفين اسرارهن حتى عن أنفسهن فأصبحن بآلام القلب وضيق النفس العصبي او الربو او ببعض الاضطرابات العضوية الأخرى . واما الاحتقار فهو رغبة نعر عنها تعبيراً سلبياً فكم من أوجاع في المعدة ليست سوى اضطرابات عصبية يمكن ارجاعها الى احتقار لاشعوري . ان بعض الفتيات اللواتي يمتنعن فجأة عن أكل اللحوم يحتقرن كل ما يمت الى الجسد بصلة ، فينقلب احتقارهن للجسد الى احتقار للغذاء . واكثر النباتيين المتعصبين انما يرجع تعصبهم الى مثل ذلك . وقد وصف المؤلف كثيراً من أقنعة اله الحب كالأرق ، وجنون السرقة ، وجنون الحريق وغيرها . قال انه عرف طبيباً عنيباً أسس جمعية لمقاومة الأمراض التناسلية ، واستاذاً فاضلاً كان قد اخذ على نفسه ان يفتش جميع المخازن التي تباع رسومها مخلة بالآداب جاءه يوماً وهو يرتعش من شدة القلق لسلكه سلوكاً شائناً مع إحدى الفتيات ، وقاضياً كان عديم الشفقة على الذين يخلون بالآداب العامة عثر عليه يوماً مقتولاً في مكتبه لارتكابه حادثة مخالفة للشرف .

وفي الكتاب أمثلة كثيرة غير هذه الا انها لا تخلو من المبالغة والتعميم . فمن هذه المبالغات الأدبية قول المؤلف ان الطبيب الجراح ليس سوى قاتل أعد نفسه لمطالب المدنية ثم صعد بواعثه الوحشية الى ميول سامية . وكذلك المتهاك في حب النساء يصبح طبيباً مولداً . ان المفرد بالأقدام الصغيرة يصبح صانع

أحذية ، كما ان عاشق الأنامل الجميلة يختار لنفسه مهنة قص الأظافر ، وإذا كان رساماً قصر عمله على رسم الأيدي ، وقد يصبح أيضاً صانع قفازات الى غير ذلك من الأمور التي تصدق على بعض الأشخاص ولا يجوز تعميمها وإطلاقها على كل انسان . فالغريزة الجنسية عامل قوي مؤثر في سلوكنا ، الا انها لا تنفرد وحدها بالتأثير .

وقد نقل الأستاذ سامح الخالدي هذا الكتاب الى اللغة العربية بأسلوب واضح وشرح بعض رموزه شرحاً مقتضباً ثم صدره بمقدمة وافية في التحليل النفسي . ولكن أسلوبه في الترجمة لا يخلو في بعض الأحيان من التردد ، وشرحه المقتضب لا يخلو من التكرار .

ج . ص

مجموعه

مجمع البيان في تفسير القرآن

ما أشد حاجتنا نحن معشر أهل السنة الى أمثال هذه التفاسير المعول عليها عند اخواننا علماء الشيعة الاثامية ولا سيما ما ألف منها قبل العهد الصفوي . فكم يكون زميلنا الاستاذ عارف الزين صاحب مجلة العرفان موفقاً في طبع هذا التفسير ونشره . مؤلف التفسير من اكابر علماء الشيعة الاثامية في القرن السادس (توفي سنة ٥٤٨ هـ)

واسمه (ابو علي الفضل بن الحسن الطبرسي) نسبة الى بلاد طبرستان . والتفسير يقع في عشر مجلدات غير ان الناشر اصدره في خمس جاعات كل جزئين في جلد واحد . مجموع صفحاتها ٣٠٠٠ من القطع الكبير . وقد وقف على تصحيحها فئة من الأفاضل . وطبعت سنة ١٣٣٣ هـ في مطبعة العرفان بصيدا . وللكتاب ثلاث مقدمات (١) في ترجمة المؤلف بقلم العلامة محسن الأمين (٢) بعنوان كلة في التفسير بقلم زميلنا الشيخ احمد رضا العاملي (٣) مقدمة المؤلف الطبرسي في القرآن وآياته وقرائمه وأساليبه وعلومه وفضله وما يستحب من تزيين الصوت بقراءته . وقد تضمنت هذه المقدمات ما لا يحصى من الفوائد . والمؤلف اذا ذكر الآية فصل القول فيها تفصيلاً حسناً

أحذية ، كما ان عاشق الأنامل الجميلة يختار لنفسه مهنة قص الأظافر ، وإذا كان رساماً قصر عمله على رسم الأيدي ، وقد يصبح أيضاً صانع قفازات الى غير ذلك من الأمور التي تصدق على بعض الأشخاص ولا يجوز تعميمها وإطلاقها على كل انسان . فالغريزة الجنسية عامل قوي مؤثر في سلوكنا ، الا انها لا تنفرد وحدها بالتأثير .

وقد نقل الأستاذ سامح الخالدي هذا الكتاب الى اللغة العربية بأسلوب واضح وشرح بعض رموزه شرحاً مقتضباً ثم صدره بمقدمة وافية في التحليل النفسي . ولكن أسلوبه في الترجمة لا يخلو في بعض الأحيان من التردد ، وشرحه المقتضب لا يخلو من التكرار .

ج . ص

مجموعه

مجمع البيان في تفسير القرآن

ما أشد حاجتنا نحن معشر أهل السنة الى أمثال هذه التفسيرات المعول عليها عند اخواننا علماء الشيعة الاثامية ولا سيما ما ألف منها قبل العهد الصفوي . فكم يكون زميلنا الاستاذ عارف الزين صاحب مجلة العرفان موفقاً في طبع هذا التفسير ونشره . مؤلف التفسير من اكابر علماء الشيعة الاثامية في القرن السادس (توفي سنة ٥٤٨ هـ)

واسمه (ابو علي الفضل بن الحسن الطبرسي) نسبة الى بلاد طبرستان . والتفسير يقع في عشر مجلدات غير ان الناشر اصدره في خمس جاعات كل جزئين في جلد واحد . مجموع صفحاتها ٣٠٠٠ من القطع الكبير . وقد وقف على تصحيحها فئة من الأفاضل . وطبعت سنة ١٣٣٣ هـ في مطبعة العرفان بصيدا . وللكتاب ثلاث مقدمات (١) في ترجمة المؤلف بقلم العلامة محسن الأمين (٢) بعنوان كلة في التفسير بقلم زميلنا الشيخ احمد رضا العاملي (٣) مقدمة المؤلف الطبرسي في القرآن وآياته وقرائمه وأساليبه وعلومه وفضله وما يستحب من تزيين الصوت بقراءته . وقد تضمنت هذه المقدمات ما لا يحصى من الفوائد . والمؤلف اذا ذكر الآية فصل القول فيها تفصيلاً حسناً

مميزاً بين المطالب التفسيرية بعنوانات خاصة : (القراءات) (اللغة) (الاعراب) (الحجة) (المعنى) . ويزيد بالحة بيان جميع القراءات المختلفة . وقد اعجبنا من المفسر توسعه في تحليل الكلمات اللغوية وسرد الشواهد عليها . كما اعجبنا إيراداً معنى الآية إيراداً وسطاً لا هو بالمسهب المحل . ولا بالمقتضب الخلل . بعبارة سهلة ممتنة لا تكلف فيها كما هو شأن الفحول من علمائنا الأقدمين رضي الله عنهم . وقد قال العلامة محسن في مقدمته : اتفقت الأئمة على توثيق المؤلف ونجده وغزارته مادته وقد جمع في تفسيره أنواع العلوم وما تشتمل من الأقوال مع الاعتدال وحسن الاختيار في تلك الأقوال والتأدب وحفظ اللسان مع من يخالفه في الرأي بحيث لا يوجد في كلامه شيء ينفر الظاهر أو يشتمل على التهجين والتقييد . وقل ما يوجد في المصنفين من يسلم كلامه من ذلك . وانظر الى ما قاله في مقدمة كتابه (الكاف الشاف في مختصر الكشاف) في حق صاحب الكشاف وما فيه من التعظيم له والثناء البليغ على علمه وفضله — تعلم ان المفسر الطبري من الفضل والانصاف وطهارة النفس في مرتبة عالية انتهى) وبالجملة فان هذا التفسير من اتمتع التفاسير واجمعها لفنون العلم واحسنها ترتيباً لها . وإيراداً لمسائلها ، ووصف الشيخ محسن للمؤلف (بالاعتدال والتأدب وحفظ اللسان مع من يخالفه في الرأي) حق وهو من أجل الأوصاف التي يجب ان يتحلى بها رجال الفرق الاسلامية . وقد شاهدنا اثر اعتدال المؤلف وتأدبه في ص ٣٢ من الجزء الخامس عند تفسيره لقوله تعالى (إلا تنصروه فقد نصره الله إذ أخرجه الذين كفروا ثاني اثنين إذ هما في الغار إذ يقول لصاحبه لا تحزن إن الله معنا) فانزل الله سكينة عليه وأيده بجنود لم تروها) وقد أرجع المؤلف ضمير (عليه) الى النبي ﷺ ثم قال ما نصه (وقد ذكرت الشيعة في تخصيص النبي في هذه الآية بالسكينة — (اي دون ابي بكر) — كلا ما رأينا الاضراب عن ذكره أخرى لثلا ينسبنا ناسب الى شيء) اقول ولعمري ان الاضراب عن ذكره حسن . واحسن منه عندي ان لا يضرب عنه بل بأق عليه ثم يخاطب الفريقين الأخوين بتهجين هذه الأبحاث المتكفة في تفسير القرآن الذي ألف بين قلوب المسلمين

فقام المسلحون وخالفوا القرآن: ففرقوا ذات بينهم . وجرتوا أنفسهم بأيديهم إلى حينهم .
وقال المؤلف في تفسير الآية نفسها قولاً موافقه عليه كل الموافقة . وهو ان بعضهم
جوز ان تكون الهاء في (عليه) راجعة الى ابي بكر (رضي الله عنه) على معنى
ان الله ألقى في قلب ابي بكر ما جعله يسكن . يهدأ بعد الجزع . قال المفسر
الطبرسي (وهذا بعيد لأن الضمائر المذكورة قبل (عليه) وبعده تعود كلها الى
النبي بلا خلاف : (الا تنصروه فقد نصره) (إذ أخرجه) (اصاحبه) — وأيده)
فكيف يخلل هذه الضمائر ضمير (عليه) العائد الى غير النبي انتهى ما قاله المؤلف
وقد اصاب فيه كل الاصابة : لأن كلام الله اذا ذاك يبقى حسن الرتل . مثلاً
الأجزاء . لا تشاخص فيه ولا تفكك ولا خروج عن الصدد . والخروج عن الصدد معيب
اذا وقع في كلام الخطباء . وحديث الجلوس . فكيف تقر في كلام رب الأرض والسماء .
وباليت المؤلف مذ قال هذا القول هنا اي في آية (فأنزل الله سكينته عليه)
قاله في آيات (يا نساء النبي استن كما أحد من النساء . . . فلا تخضعن) (اي يا نساء
النبي) وقلن (اي يا نساء النبي) وقرن (اي يا نساء النبي) ولا تبرجن (اي
يا نساء النبي) وأقرن الصلاة (اي يا نساء النبي) وآتين الزكاة (اي يا نساء النبي)
وأطعن الله (اي يا نساء النبي) انما يريد الله ليذهب عنكم الرجس أهل البيت
ويطهركم تطهيراً (اي يا محمد وعلي وفاطمة والحسن والحسين) واذكرن ما بتلى
في بيوتكن (اي يا نساء النبي) : فقد قال المؤلف اختلفوا في مراد الآية
(بأهل البيت) : فقال عكرمة أراد أزواج النبي (ﷺ) لأن أول الآية
متوجه اليهن . وقال ابو سعيد الخدري وانس بن مالك ووائله ابن الاسقع وعائشة
(إحدى الأزواج المخاطبات أولاً) وام سلمة (إحدى الأزواج المخاطبات
أيضاً) انت الآية (اي آية انما يريد الله ليذهب عنكم الرجس التخللة في
الآيات) مختصة برسول الله (ﷺ) وعلي فاطمة والحسن والحسين) ثم ذكر
المصنف أحاديث ذكر فيها ان المراد بالآية سادتنا الخمسة المذكورين وختمها بقوله :

(ثبت ان الآية مختصة بهم لبطلان ! تعلقها بغيرهم . ومتى استؤنس بأن صدر الآية وما بعدها في الأزواج فالقول فيه : إن هذا لا ينكره من عرف عادة الفصحاء في كلامهم ، فانهم يذهبون من خطاب الى غيره ويعودون اليه ، والقرآن من ذلك بملا . وكذلك كلام العرب وأشعارهم اه قول المؤلف .

المعربي

٥٥٥٥٥٥٥٥

عبد الله فكري (عصره) ، (حياته) ، (أدبه)

تأليف محمد عبد الغني حسن بمقدمة كتبها عبد الحميد العبادي بك

وقد طبع في مصر سنة ١٩٤٦ م

أهدي الى مجعنا هذا الكتاب في ترجمة حياة زعيم من كبار زعماء النهضة الأدبية المصرية . وقد شعرت وأنا اتصفحها بماطفة هنرت نفسي وهاجت مسرقي واذكرني ايام الحداثة والاهتمام بالطلب والتحصيل : ذلك ان صديقاً لي في ذلك العهد يعرف مني الحرص على مطالعة ما ينشر من الآثار الجديدة في العلم والأدب أطلعني على كتاب صغير لاريزيد علي حجم الكف طبع حديثاً في مصر (أى في سنة ١٣٠٦) باسم (الرحلة البعلبكية) لمنشئها (سعادة عبد الله فكري باشا) فلم اكتف بمطالعة هذه الرحلة إعجاباً بها وحرصاً عليها بل اصرعت الى نسخها وما زالت نسختها الى اليوم بين أوراقى . وكنت اقرؤها على الاخوان المرة بعد المرة واستثير إعجابهم بما تضمنته من براعة في الأسلوب . وحذق في السجع . ولطف اشارة الى الملح العلمية والنكت الأدبية . وكنا في ذلك العهد ندرس الأدب القديم ونرى الحاجة ماسة الى تطوره والتجديد فيه . كما تنهت عقولنا الى شيء يقال له الأدب الحديث أو العلوم العصرية ووجوب الاهتمام بها لتتم لنا نهضة صحيحة . فرأبنا في تلك الرحلة ما دلنا على ان صاحبها من أولئك الذين يعملون على التجديد والنهوض : فهو يحاول تفكيك قيود الأدب القديم والأخذ به نحو طريقة حديثة

تجمع بين مئاة اللغة العربية . وصحة أسلوبها - وبين استعمالها في الفنون العصرية والمطالب الاجتماعية الحديثة . غير انه لم يُفتح لعبد الله فكري التلص بتاتاً من السجع الموروث . وكان يشابهه على هذا التجديد في الأدب زعيم آخر من وزراء مصر هو علي باشا مبارك مؤلف كتاب (علم الدين) الذي لم يصدر منه سوى أربعة أجزاء . وقد كنت قرأته لأول ما صدرت طبعته في الاسكندرية . فكنت اجد فيه وفي صاحبه ما وجدته في الرحلة البعلبكية ومثمتها من حيث محاكمتها التجديد في الأدب العربي وسلوكه فني عصري فيه . وكان في الاستانة لذلك العهد أناس آخرون من أبناء العرب بنحون منحاهم ويعملون على شاكلتهما وهما (الطويراني) و (السلوي) واشياهما .

وقد بقي هذا الأدب الجديد المسجع موضع اهتمام القراء حتى ظهرت جريدة العروة الوثقى التي كان يشوؤها استاذنا (محمد عبده) في باريس على عين من السيد (جمال الدين الأفغاني) فكان هذا مبدأ عهد جديد في أساليب الانشاء العربي وتوجيه الأدب عامة الى خدمة الاجتماع الاسلامي والسياسة القومية والعاش الاخلاق الدينية والدعوة الى الاصلاح في هذه المطالب الثلاث . فلا جرم ان كان هؤلاء المنشئون من كتاب العرب هم زعمائنا في هذا الفتح الجديد وتمهيد الطريق اليه . والكتاب الذي أماننا في ترجمة حياة عبد الله فكري فيه الشواهد الكثيرة على ما قلناه من أنه كان مجدداً في (عصره) و (حياته) و (أدبه) وقد فصل هذا كله الفاضل (محمد عبد الغني حسن) مؤلف الكتاب احسن تفصيل . وابرده في اجمل أسلوب . والطف تعبير : والكلام في ترجمة المترجم يتصل بالكلام في حالة الجيل الماضي الذي عاش المترجم بينهم . وكانوا تلاميذ مدرستين : مدرسة التعليم الديني . ومدرسة التعليم المدني . واسكل من المدرستين كتب وطرائق واساليب . فوصف المؤلف كل هذا وحدد موقف المترجم من تعاليم المدرستين . ورجال المدرستين . ثم وصف اخلاق المترجم وعصاميته وشعره ونثره وآثاره الأدبية . رحلاته الى اوربا وسورية . وذكر اصدقائه

هنا وهناك وهناك ولا سيما علاقته بالشيخ محمد عبده وشهادة الشيخ فيه وتعلق الأمير
شكيب بصداقته منذ حداثته . قال الأمير (وكان الشيخ عبده شديد الحب
لعبد الله باشا فكري لا يفتأ يذكر محامده وكان يعجبه من شعره قوله
مخاطباً للخديوي توفيق :

(ولو شئت كانت لي زروع وأنعم ومال به الآمال أقتادها قسراً)
(ولكنها نفس فتلك أمانة تعاف الدنيا اب تمريها مرا)

والكتاب بمجموعه طرفة أدبية لا تُمل قراءته . ولا تنتهي فرائده . وللقاري هذا
النموذج منه وقد وصف المؤلف فيه (الرحلة البعلبكية) التي أشرت إليها في
صدر الكلام . ولعل ما في هذه الرحلة أطرف مداعبات المترجم ومضاحكاته . وقد كان
بينه وبين (الشيخ عبد الحميد الخاني) (وهو المخاطب في الرحلة) مكاتبات تدل
على ما كان بين المترجم وبين أعيان دمشق من الحب وخصوص الود . وكان للسيد
الخاني (لازمة) يستعملها في الحديث هي لفظة (المدهش والمدهشات والمنعشات)
فكان اصداقاه المصريون ينتقدون بها عليه . ويودعونها رسائلهم إليه . حتى ان
الأستاذ الشيخ محمد عبده كتب إليه من رسالة فقال : (ويهدي الى حضرتكم
انقيات المدهشات والتسليمات المنعشات حضرات الأستاذة (فلان وفلان) .
وافتح عبد الله باشا فكري خطابه الى السيد الخاني في (الرحلة البعلبكية) بقوله
(اهدي اليك من منعشات لثيمة والسلام ، وانقلو عليك من مدهشات الشوق والفراق
ما يجمل إجماله لو اصفه ولا يلزم تفصيله اعرفه) .

وفي هذه (الرحلة البعلبكية) ما فيها من ظارف عبد الله فكري . أدبه وخفة روحه
حتى لقد أرسل نفسه على سجيتهما مع الشيخ الخاني (ينتقل به من دمشق الى دمر
الى الفيحة . ويصف المسكاري الذي حمله على حضانه وقد ضلت به السبل . وتشعبت
أمامه الطرق . وأمن الحصان الذي تحته وسبه . وألحق به دينه ومذهبه . ومن
باعه وركبه . وامواته واحياءه . وعشاره واحباءه . فلما وصل الى رأس السوق
(سوق وادي بردى) التمس داراً للمقام والتمس غذاء فلم يجد غير دجاجات اضلتهن

أبدي الحدثان . وافلتنهن مخالب أنسر لقمان . قد وعين الطوفان . وتطاول عليهن
تقادم الزمان . فما زلن يصاولن الأيام . وبواصلن الصيام . حتى يبسن وسمجن .
وفي عليهن الخطب ولم ينضجن) ثم عاد فشكا في الرحلة نبس المداد في بعلبك
بقوله (أشكو من هذا المداد الجامد . مالا أشكوه من المكاري البارد) ووصف
توقف القلم عن الجري على القرطاس بقوله (فيقف عن جولانه . وقفة الحمار في
المدار . ويثبت في مكانه . ثبوت المسمار في الجدار الخ

أقول وللشيخ عبد الغني النابلسي في رحلته الى طرابلس المسماة التحفة النابلسية
في الرحلة الطرابلسية) وصف للصعوبات والمشاق التي قاساها في تلك الجبال
وعقايبها والأودية ووهاها تشبه في الجملة ما قاله عبد الله باشا فكري في رحلته
البعلبكية وبين الرحلتين ٨٠ سنة .

(ملاحظة) قرأنا في إحدى الصحف المصرية بالأمس ان كتاباً في ترجمة (عبدالله
باشا فكري) ألفه الأستاذ السيد العناني وقدم له الشاعر خليل بك مطران .

المغربي

(من عبقريات نساء القرن ١٩)

جزؤه الأول تأليف السيد يوسف يعقوب مسكوني

طبع في بغداد سنة ١٢٢٦ م

عنى بوضع هذا الكتاب الأستاذ الموما اليه وقد أراد ان يجمع شتات ما تفرق
من تواجهم شهيرات النساء المعاصرات فضمن جزؤه الأول ثلاثاً منهن . وكأنه
أراد ان يشير بهذا الجمع الى ان نهضة المرأة العربية لم تكن مقتصرة على طائفة
واحدة من اقوام الأمة العربية وانما النهضة كانت عامة شاملة نساء الطوائف كلها فترجم
للسيدة عائشة التيجورية (المتوفاة سنة ١٢٠٢) راضياً بها الى المرأة العربية السنية
ثم للسيدة وردة اليازجي (المتوفاة سنة ١٢٢٤ م) راضياً بها الى المرأة العربية المسيحية
ثم للسيدة زينب فواز (المتوفاة سنة ١٢١٤ م) راضياً بها الى المرأة العربية الشيعية

والكتاب في ٢٣٦ صفحة وزع المؤلف الكلام فيها على الثلاث توزيعاً يكاد يكون متساوياً . وقد بسط القول فيهن وفي آثارهن وأخبارهن بسطاً شافياً مزيناً بصورتين للمترجمتين الأولىين عدا مقدمة بقلمه أوجز فيها القول عن نهضة المرأة من حيث هي امرأة : ماهيتها وأخلاقيها وطباعها والمقارنة بينها وبين الرجل وزواجهما وأخيراً (هي تاج الرجل ولكن أين هي ؟)

وانا لشاكرون له سعيه الجميل في وضع هذا التصنيف المفيد وهو موفق الى إقامته إن شاء الله .

المصري

﴿ ١٩٩٩ ﴾

ضوء في تاريخ التوهم

البحث الأول

التصوف في نظر الاسلام

تأليف الأستاذ أحمد صبري شويحات

أهدى الينا صديقنا الأستاذ محمد افندي نصيف كتاب « الضوء » ورغب إليّ أن انشر في مجلة مجمعنا العلمي الكريم رأيي فيه ، والذي يعم النظر في هذا الكتاب ويسير على ضيائه ، يرى أن عنوانه جزء من أجزائه ، فهو لم يقصر بحثه على التصوف في نظر الاسلام كما يؤخذ من عنوانه ، بل جاوزه إلى النظر في حقيقة التصوف العامة في العالم كله ، وعمد إلى تفسيرها وتحليلها غوامضها ، وتمقب عواملها ، وأغراضها بين مختلف الشعوب كما أشار إلى ذلك في طليعة كتابه :

وقد رتب المؤلف هذا الكتاب على ستة أبواب كبرى أدخل في كل باب منها فصولاً تناسبه ، وجعل بعض تلك الفصول أصولاً لمباحث اشتقها منها وبنّاها عليها . والكتاب في مجلته يقع في ثلاثمائة وسبعين صفحة بقطع الربع ، وما هي ذي عناوين أبوابه الستة :

(١) نشأة التصوف مع الانسان (٢) فطرة الانسان واحدة وسلوكه مختلف

والكتاب في ٢٣٦ صفحة وزع المؤلف الكلام فيها على الثلاث توزيعاً يكاد يكون متساوياً . وقد بسط القول فيهن وفي آثارهن وأخبارهن بسطاً شافياً مزيناً بصورتين للمترجمتين الأولىين عدا مقدمة بقلمه أوجز فيها القول عن نهضة المرأة من حيث هي امرأة : ماهيتها وأخلاقيها وطباعها والمقارنة بينها وبين الرجل وزواجهما وأخيراً (هي تاج الرجل ولكن أين هي ؟)

وانا لشاكرون له سعيه الجميل في وضع هذا التصنيف المفيد وهو موفق الى إقامته إن شاء الله .

المصري

﴿ ١٩٩٩ ﴾

ضوء في تاريخ التوهم

البحث الأول

التصوف في نظر الاسلام

تأليف الأستاذ أحمد صبري شويحات

أهدى الينا صديقنا الأستاذ محمد افندي نصيف كتاب « الضوء » ورغب إليّ أن انشر في مجلة مجمعنا العلمي الكريم رأيي فيه ، والذي يمين النظر في هذا الكتاب ويسير على ضيائه ، يرى أن عنوانه جزء من أجزائه ، فهو لم يقصر بحثه على التصوف في نظر الاسلام كما يؤخذ من عنوانه ، بل جاوزه إلى النظر في حقيقة التصوف العامة في العالم كله ، وعمد إلى تفسيرها وتحليلها غوامضها ، وتمقب عواملها ، وأغراضها بين مختلف الشعوب كما أشار إلى ذلك في طليعة كتابه :

وقد رتب المؤلف هذا الكتاب على ستة أبواب كبرى أدخل في كل باب منها فصولاً تناسبه ، وجعل بعض تلك الفصول أصولاً لمباحث اشتقها منها وبنّاها عليها . والكتاب في مجلته يقع في ثلاثمائة وسبعين صفحة بقطع الربع ، وما هي ذي عناوين أبوابه الستة :

(١) نشأة التصوف مع الانسان (٢) فطرة الانسان واحدة وسلوكه مختلف

(٢) منابع الفطرة في الجزيرة العربية (٤) البيت العربي (٥) العقل العربي (٦) الدين العربي .

وأما الفصول التي جعلت أصولاً لغيرها فمنها فصل أصل العالم ، وفطرة البدن السليم ، وفطرة النفس المطمئنة ، وهذه الفصول الثلاثة داخلية في الباب الثالث (منابع الفطرة) . ومن مباحثه الخلقية ما كتبه تحت عنوان : أم مريضة بطبيعتها ، الضعف العقلي أساس المرض التناسلي ، الفسق من عوامل الانقراض ، مصارع المراهقة ، الشذوذ الجنسي ، الصوفية والشذوذ الجنسي .

هذه مجملات من أبواب الكتاب وفصوله ، وهو في جملته ذم للتصوف عند جميع الأمم ، ورمي لأهله بالفسوق والمروق والضعة والحمول ، وهذا التعصيم غير جار على سنة القرآن الحكيم ، الذي يزن بالقسطاس المستقيم ، فالتصوف في أول نشأته بين المسلمين كان زهداً في الدنيا وعرضاً للأذى وإيثاراً للآخرة عليها وجهاداً في سبيل الله وإقامة لميزان الحق والعدل بين الناس ، وعلى ذلك مضى السابقون الأولون من المهاجرين والأنصار ومن تبعهم بإحسان ، ولم يكن اسم التصوف معروفاً لهم ، ثم حدث له هذا الاسم ، ومن بعد أن كان مسمياً نسكاً وزهداً وبعداً عن مظاهر الترف والنعيم ، صار آراء فلسفية تنقل فيها أهلها إلى القول بالحلول والاتحاد . ثم انقلب إلى شعبية وشعوذة وتغريب باللبسطاء وتزلف للحكام ، واكتفى كل لأموال الناس بالباطل .

وكان على المؤلف - وهو يستعرض التصوف القديم والحديث عند جميع طبقات البشر - أن ينوه بمتصوفة الوطن الذين جردوا أنفسهم لخدمته ، واستنفدوا جهودهم في سبيله ، كزعيم مصر سعد ، وكغاندي الهند ، وأن يتناول بذهمه من اتخذوا لتصوفهم مواسم ومراسم يطلعون فيها على الناس بأزياء وألوان وهيئات غريبة تشبه في مظاهرها عيد المسايخر عند بعض الأمم ، وكان من حق الحكومة الإسلامية التي تدعى إليها وتشارك فيها أن تمنعها لأنها تقام باسم الدين الذي يبرأ منها ، وبعد أهلها من الدين اتخذوا دينهم هواً ولعباً .

وقد وقع المؤلف في أغلاط دينية كبرى ما ندري ما الذي جرّه إليها أو جرّاه عليها ! ، فمنها تعريفه للدين بأنه « تجنب السلوك بما يخالف الفطرة » « أو هو الكيفية التي توحى بها الفطرة السليمة حل المشاكل الإنسانية » ص ٤٣ « وهذا دين غير إسلامي ولا سماوي ، لأنه يستمد الإلهام والنظام من الفطرة الإنسانية لا من الشرائع السماوية التي أنزلها الله على أنبيائه وأرسلهم بها إلى الناس ، وليس منبع الدين النفس ولا مصدره الإلهام ، ولكنه وضع إلهي ، ووحى سماوي بنير للفطرة السليمة طريق السعادة العظمى .

(ومنها) تفسيره للسبع المثاني بقوله :

« السبع المثاني — على خلاف رأي الأعاجم من المفسرين — هي الأربعة عشر حرفاً التي أقسم بها الله في أوائل السور في مثل قوله « الم » « الخ » ثم قال : « وقد غلط المفسرون بطبيعة عجمتهم حين زعموا أن السبع المثاني هي سبع سور أو سبع آيات الخ . أعلمت أيها القارئ الكريم من هؤلاء الأعاجم الذين فسروا السبع المثاني بأنها سبع سور أو سبع آيات ؟ إنهم أجلاء الصحابة والتابعين كمعمر وعلي وابن مسعود وابن عمر وابن عباس ، وكعجّاه وسعيد بن جبير والضحاك وغيرهم ، واختاره ابن جرير واحتج بالأحاديث الواردة في ذلك ، [راجع تفسير الآية : ولقد آتيناك سبعاً من المثاني ، والقرآن العظيم ، من سورة الحجر ، في تفسير الخازن ابن جرير وابن كثير] ثم من أين له العلم بأن الله تعالى أقسم بهذه الحروف الأربعة عشر ، وهي ليست إلا حروفاً مفردة ، وحروف القسم الثلاثة ليست منها ؟

حسبي بما أوردت شاهداً على جزمه بما ليس له به علم ، أو بما يعلم خلافه ! ومن الأغلاط اللغوية إثباته بكلمة « فقط » في غير موضعها كقوله ص ٤٤ تقوم فقط على غير الفطرة و ص ٨٣ لا يؤدى فقط إلى إنهاك قوى الجسم وإضعافه و ص ٣٠٧ ولكننا نفسر فقط ما اشتهر من رأي العرب في الجن » والصواب أن تكون « فقط » في آخر هذه الجمل الثلاث ، فيقال : تقوم على صورة الفطرة فقط الخ كما هو ظاهر وجملته القول : انا نرجو أن يكون هذا الكتاب داعياً إلى الأخذ بما في الأمور ، وترك سفسافها .

محمد بهجة البطار

مختصر تاريخ الحضارة العربية

تصنيف الأستاذين راتب الحسامي وجورج حداد ٦ في (٥٤١) صفحة من القطع المتوسط يتخللها بعض الصور . وهو من منشورات دار اليقظة العربية بدمشق . حاول الأستاذان في هذا الكتاب اختصار تاريخ الحضارة العربية في مختلف نواحيها . فبحنا في ادارة الدولة الاسلامية وحياتها الاجتماعية والاقتصادية وحرركاتها الفكرية والفنية . وقد ادركا : « بأن وضع مثل هذا الكتاب ليس بالأمر السهل نظراً لاتساع موضوعه ووفرة مادته ٦ خصوصاً والابحاز والاختصار اصعب في مثل هذه الأبحاث من التطويل والاسهاب » . ويلمس القاري في كل فصل من فصول هذا الكتاب أثراً لهذه الصعوبات ، ويتبين له ما بذله المصنفان من جهد للتوفيق بين حاجة الطالب في أفقه المحدود ورغبة المطالع الطامع في زيادة المعرفة والاستفادة .

وهذا الكتاب هو غني بمادته ٦ واسع بأبحاثه . والذي كنا نرجوه لو تجنب الأستاذان في أبحاثهما بعض المسائل الخلافية والتوسع فيها - لاسيما فيما جاء في فصلي الحياة الفنية والحياة الفكرية - لأننا العثار وسلم الكتاب من الزلات والأخطاء والجدل التي تشوش على التلميذ ولا ينتفع بها . ولا ننسى ان ما يصح بحثه ومعالجته خارج النطاق المدرسي يحسن ان لا نتسامح به في الكتب المدرسية . وقد عثرنا على أخطاء تشير الى اهمها . فقد جاء في :

ص ٢٣ شاب من العباسيين اسمه عبد الرحمن الخ . وصوابه شاب من الامويين

٨٦ محمود الزنكي المعروف بالملك العادل . وصوابه محمود بن زنكي والمعروف

بالملك العادل هو سيف الدين ابو بكر بن ابوب وليس نور الدين

١٤١ بجاية في الأندلس وصوابه على ساحل افريقية

٢٥٩ زعموا ان قصر المشتى من بناء الفساسنة والصواب انه من بناء الأمويين .

٢٧٥ قصر الخزنة . لا يعرف قصر بهذا الاسم وله قصر خزانة الموجود في البلقاء .

ص ٣٢٣ زعموا ان زرياب او الكندي قد زادا الوتر الخامس في العود . والحقيقة ان الوتر الخامس كان موجوداً في زمن هشام بن عبد الملك اي قبل زرياب والكندي بزمان طويل كما هو ظاهر في الصور التي عثر عليها في قصر الحير الأموي .

≡ ٣٢٦ البروتز . هي كلمة أعجمية وتعريبها الشبه .

≡ ٣٣٢ مدينة ليون باسبانيا ، وصوابه في فرنسا .

≡ ٣٤٠ قالوا : « ويظهر انهم لم يذكروا اسم البلد الذي ضربت فيه النقود حتى اوائل القرن الثاني للهجرة » وهذا لا يتفق مع الحقيقة لأن اسم البلد قد ذكر على الدراهم الاسلامية منذ الوليد بن عبد الملك .

≡ ٣٤٦ قالوا : « ليس العصر الذي سبق الاسلام عصرًا جاهلياً لأن التاريخ أثبت ان الفكر العربي كان آنذاك نامياً ٠٠٠ الخ » وهذا تفسير مغلوط لأن اطلاق اسم العصر الجاهلي على العصر الذي سبق الاسلام يقصد منه الناحية الدينية فقط ولا يشمل الثقافة والفكر .

≡ ٤٣١ Monophysites وصوابه Monophysisme

≡ ≡ Monothelites وصوابه Monothéisme

≡ ≡ وكان مؤتمر خلقدونية في سنة ٤٥١ لا في سنة ٤٤٨

≡ ٤٣٦ قالوا عن مكتبة الاسكندرية « التي اتهم العرب باحراقها » وكان من من أولى واجبات الاستاذين ان يدفعوا هذه التهمة الباطلة عن العرب لأن المكتبة حُرقت قبل دخول العرب مصر بزمان طويل كما حققه وأثبتته عدد كبير من مؤرخي الغرب حتى أصبحت اليوم حقيقة لا تقبل الجدل وبعد ان عرفت بأنفسها فرية لفقها اعداء المسلمين .

وما نعيبه على هذا الكتاب المدرسي الامراف في بحث منشأ الحضارة العربية حتى بكاد القاري ان يخيّلها حضارة ملفقة من انقاض حضارات بائدة انقلها العرب

لأنفسهم . ولا ننكر أن العرب قد أخذوا عن سواهم كثيراً من معالم حضارتهم - شأن جميع الأمم في قديمها وحديثها . ولكن العرب قد امتازوا عن سواهم في صهر ما أخذوه في بوتقتهم فألبسوه حلة جديدة ضاع معها الأصل ، وكونوا منها حضارة لها شخصية واضحة مستقلة كأنها حضارة مبتكرة تتفق مع روحهم وعقلهم ودينهم الجديد ، وهذا ابرز ما في الحضارة العربية واروع ما حققه العرب وهي الحضارة الوحيدة من نوعها التي تتجلى فيها العبقريّة في كل نواحيها .

جعفر الحسني

الدليل البريطاني لعام ١٩٤٥

تصنيف جوزيف هويتكر لندن ١٩٥٣ صفحة

Whitaker's Alinanack

اعتادت دور النشر الكبرى وأحياناً بعض الصحف ان تصدر دليلاً أو تقويماً في كل عام يحتوي على مختلف المعلومات المفصلة المتعلقة بحياة البلاد التي يصدر فيها ، وعلى معلومات اجمالية عن سائر بلاد العالم . الدليل البريطاني الذي نبحث عنه هو المجلد السابع والسبعون من مجموعة تصدر منذ ١٨٦٨ بإدارة امرة هويتكر . ويمكن القول ان هذا الدليل هو موسوعة صغيرة عن الامبراطورية البريطانية ويتألف من ١٠٥٢ صفحة مطبوعة بالحرف الصغير . وهو يبدأ بمعلومات فلكية مفيدة تتعلق بالأبراج والنجوم والمجموعة الشمسية والأرض والزمن وحساب الأوقات والروزنامات وكذلك يحتوي على معلومات عملية مفيدة تتعلق بالأوزان والمكاييل والرموز والاختصارات المختلفة . ولكن القسم الأكبر منه يتناول بريطانيا العظمى وحكومتها وأنظمتها الادارية . وفيه جداول كثيرة بأسماء ملوك انكلترا ونوابها ، ولورداتها ، والقاب الشرف فيها وحاملها ، وأسماء الدوائر

الحربية المختلفة وموظفيها وجداول بالمحاكم وموظفيها ، والاسقفيات واساقفتها ، وبأسماء الجامعات والمدارس الكبرى وموظفيها . وأسماء الصحف والمصارف والنوادي . والدليل يحوي زيادة على ذلك معلومات عن مختلف أجزاء الامبراطورية البريطانية من الوجهة التاريخية ثم من الوجهتين الجغرافية والادارية فيصف حكومة كل من هذه الأجزاء وأسماء موظفيها ورواتبهم كما انه يصف حاصلاتها وتجارتها . وأهم الأبحاث في هذا القسم تتناول امبراطورية الهند . وهناك قسم في الدليل يبحث عن البلاد الأجنبية فتتناولها بلمحة تاريخية موجزة وبللمحة عن حكومتها ثم جغرافيتها الاقتصادية وتجارتها بشكل خاص ، وكذلك يبحث في علاقة انكترا بها . وأسماء ممثلي انكترا الدبلوماسيين والقنصلين فيها . ولا يتخلو هذا الدليل من وصف حوادث الحرب العالمية الأخيرة ومجهودات انكترا فيها ، كما ان فيه بعض الجداول التاريخية التي تتعلق بأسماء الملوك والرؤساء في مختلف الدول والأمير المالكة .

والمهم في هذا الكتاب انه لا توجد ناحية من نواحي النشاط في حياة انكترا وامبراطوريتها الا ويصفها ويعطي الاسماء والاحصاءات والتواريخ المتعلقة بها ، فهو من هذه الناحية كتاب جليل الفائدة . وحذا لو قامت البلاد العربية — متعاونة او كل قطر بمفرده — بتصنيف دليل مثله فيكون وسيلة عملية للتعرف فيما بينها وللتعرف على تفاصيل الحياة الادارية والاقتصادية والاجتماعية والفكرية في كل منها ، وعلى أسماء الرجال والهيئات القائمين بأعباء كل من نواحي النشاط فيها ، وللإطلاع على أهم الوثائق والأنظمة والقوانين التي لها علاقة بهذه النواحي .

مورج محمد

آراء وانباء

— ملاحظات لغوية —

نشرت في العدد الاول من المجلد الثامن عشر القسم الخامس من مقالي الذي عنوانه (نظرة في مجلة مجمع فؤاد الأول) . وما ذكرته في ذلك القسم انه لا يوجد في العربية كلمة تدل على معنى (Ecussonnage) بالفرنسية وهو التطعيم بالبرعم ، ويسمونه عندنا التطعيم بالرفعة ، وأنه من الضروري جعل كلمة (البرعمة) تتضمن هذا المعنى . واذا بالدكتور مصطفى جواد يأتي بعد ثلاث سنين او أكثر فينشر سيفي عدد آب من هذه السنة (ص ٣٨١) تنمة مقال له عنوانه (التنبية والتوجيه) جاء فيه ان الكلمة الفرنسية المذكورة هي (التطعيم) بالعربية ، وأنه لا حاجة الى (البرعمة) ، ثم نراه بعد هذا الفوز بعثوره على كلمة (التطعيم) بنقل اثناعين المسعودي وعن المقرئ جملاً استعملت فيها هذه الكلمة اي التطعيم . وينهي كلامه بقوله : (وربط الثقافة العربية القديمة بالحديثة واجب راقب) .

قلت ان من أدراء هذه اللغة كَوْنُ بعض ألفوبيها يستعملون البحث عن مصطلحات علوم لا يجيدونها . فالتطعيم بحث واسع من أبحاث زراعة الشجر ، وفيه مؤلفات ، وله اشكال عديدة كالتطعيم بالبرعم (الرفعة) والتطعيم بالفوز (القلم) والتطعيم بالشق والتطعيم بالترصيع والتطعيم بالإدناء والتطعيم بالتصفيح وتطعيم اللحاء الخ . الخ . فكلمة (التطعيم) هي عامة تشمل كل هذه الاشكال . وليس في العربية كلمة واحدة تدل على شكل واحد بعينه من هذه الاشكال . ولا يجوز قصر معنى التطعيم على التطعيم بالبرعم . واستعمال كلمة (التطعيم) مجردة لا يفيد معنى التطعيم بالبرعم وحده بل يفيد أيضاً جميع الأشكال الأخرى مما ذكرته وما لم اذكره . ولهذا طلبت في مقالي جعل كلمة البرعمة تتضمن معنى

(Ecussonnage) أي التطعيم بالبرعم . ويرى مجمع مصر أيضاً هذا الرأي . لكنه وضع كلمة التبرعم لهذا المعنى . وقلت في مقالي المذكور ان البرعمة اصلح . ويتضح من ذلك انه لو كان حضرة الكاتب الذي ألزم نفسه بالتنبية والتوجيه عالماً بالعلوم الزراعية لكفى نفسه وقراء مجلة المجمع مثل هذه التوجيهات الخاطئة . أما تنبيهه الى (ربط الثقافة القديمة بالحديثة) فهو كلام يجب ان يوجهه الى نفسه ، لأن الذي يبحث عن التطعيم في كتب السلف لا يستشهد بحمل أوردها المسعودي أو المقرئ ، بل يراجع كتاب الفلاحة النبطية لابن وحشية وكتاب الفلاحة الأندلسية لابن العوام وكتاب الفلاحة الرومية لقسطا بن لوقا وغيرها من كتب السلف الزراعية فيجد فيها أبحاث التطعيم كما يجد الكلمات التي استعملوها مرادفة للتطعيم كالتركيب والانشاب الخ . ومتى انتهى من تلاوة هذه الأبحاث ، وكان عالماً بالعلوم الزراعية الحديثة ، وعارفاً بمعاني الألفاظ الزراعية العربية ، جاز له بعد معالجة هذه الأمور سنين عديدهم ان يدلي برأيه فيها .

أما الدكتور مصطفى جواد فان له علماً وفضلاً ولكن في غير هذه الناحية فليتنبهها وليكتف بما هو عالم به وقد قرأه والمعجبين به وأنا منهم .

مصطفى الشربابي

(خطاب)

غلطتان مطبعيتان

جاء في بحثي عن كتاب « تطور الري في العراق » المنشور في الجزء السابع والثامن من المجلد الحادي والعشرين غلطتان مطبعيتان واليك تصحيحهما :

| صفحة | غلط | صواب |
|------|----------|-----------|
| ٣٦٧ | الخضروات | الخضراوات |
| ٣٦٨ | الفريين | الفورين |

م . ش

التنبيه والتوجيه

— ٣ —

٨ — وورد في ص ٤٤ « بعض اصطلاحات يونانية » وليس هذا من تعابير الفصحاء لأن « بعضاً » اذا أريد بها الجزء الواحد من كل الأجزاء — وهو المعنى الأصلي الذي وضعت له — فيجب لها ان تضاف الى معرفة . فيقال « بعض الاصطلاحات اي قسم منها وأحدها ، وإذا أريد بها جزء الجزء فيجوز ان تضاف حينذاك الى النكرة فيقال : « كتبت صحيفة أو بعض صحيفة » ومنه قوله تعالى : « قالوا لبثنا يوماً أو بعض يوم^(١) » ، ولعل الكاتب الفاضل أراد « بعض » ما يريد الفرنسيون بكلمة *Quelque* فالصواب « اصطلاحات يونانية » لأن التنكير يدل على القلة وبقيدها إذا كان الجمع خالياً من وصف يدل على الكثرة كأن يقال « اصطلاحات كثيرة » فمن الأولى قولنا « اشتريت دجاجات ، وشرحت كلمات ، وأقمت أياماً » وما اليه من العبارات . ونقول القول بعينه في العبارة الثانية الواردة في الصفحة المذكورة وهي تتعلق « ببعض نظرات » .

٩ — وفي ص ٤٨ « فإن السلف أخذها مباشرة عن اليونانيين » ومباشرة هذه هي ترجمة *Directement* الفرنسية ، وأقرب الأقوال العربية الفصيحة أن يقال « أخذوها قصداً » ولا محل هنا للمباشرة ولا وجه لاستعمالها ولوليتا أو بل والتخريج .

١٠ — وجاء في ص ٤٩ أن كلمة « ابليس » على رأي الكاتب الفاضل من *Epiæes* اليونانية لامن *Diasolos* . قلت : ما بعد هذين اللفظين عن لفظ « ابليس » ! واللفظة القريبة منه هي « *Diabolus* » اللطينية ومنها الفرنسية *Diable* .

١١ — وفي ص ٦٠ مانعه « وقال الحاجب للنجيب ابي محمد قل لولدك محمد » والصواب « ابي احمد » وهو والد الشريف الرضي ، والغلط يسير ولكن السكوث عنه على أهل البحث والتجري عسير

(١) سورة الكهف في الآية ١٩ منها

١٢ - وجاء في ص ٦١ ما هذا نصه « هذا ما ساقه ابن أبي الحديد في شرحه على التهج من غير ان يذكر السنة التي كتب فيها المحضر » . أراد محضر طعن العباسيين على نسب الفاطميين الذين اسسوا دولتهم في مصر بعد المغرب ، قلت : وليس كتاب شرح تهج البلاغة مقصوداً على التاريخ ولا موضوعاً للحوادث ، فمن مبادي العلم بتاريخ بني العباس علم انهم كتبوا ذلك المحضر في سنة (٤٠٢) اثنتين واربعمائة للهجرة^(١) وأما ابن الطحاوي الوارد ذكره بين الفقهاء في المتن أو البطحاي - كما جاء في الحاشية - فصوله « ابن البيضاوي » نسبة الى بيضاء فارس ، وهو محمد بن عبد الله بن احمد بن محمد الفقيه الشافعي قاضي ربيع الكرخ ببغداد في زمان كان يسكن درب السلوي ويدرس الفقه ويفتي على مذهب الامام الشافعي ، توفي فجأة ليلة الجمعة الرابع عشر من رجب سنة أربع وعشرين واربعمائة ودُفن صبيحة تلك الليلة في مقبرة باب حرباً من غربي بغداد^(٢)

١٣ - وجاء في ص ١١١ من المجلد ان القاف شاع لفظها بالهمزة من أرمن حلب ثم عمت المدينة ومنها انتشرت في سائر المدن التي ذكرناها ، قلت : من المستبعد جداً ان تشيع هذا الشيوع ونعم هذا العموم وهي لغة أرمنية يهودية حلبية ، لأن طبيعة الأصوات تستوجب ان تنقلب القاف الى كاف وهذه تكون همزة وهي اللغنة الطبيعية ، وقد نقل ياقوت أن احد الفتيان كانت به اكلة شديدة حتى كانت لا يجري على لسانه حرفان من حروف المعجم « الراء والكاف » : يكون مكان الراء غيناً ومكان الكاف همزة فكان اذا اراد ان يقول كركي يقول « أغري » واذا اراد أن يقول كركرة يقول « أغرعة » وينشد للأعشى

(١) ابو الفرج ابن الجوزي « المنتظم ج ٧ ص ٢٥٥ » وكررت كتابه المحضر سنة ٤٤٤

« المنتظم ج ٨ ص ١٥٤ » وكامل ابن الأثير في حوادث سنة ٤٠٢ والذهبي في دول الاسلام

ج ١ ص ١٨٧ (٢) الخطيب البغدادي « ج ٥ ص ٢٧٦ »

«أغنى غجلاً في أفه أنف» يريد «قالت أرى رجلاً في كفه كتف»^(١).
فقلب القاف همزة يجب فيه ان يسبقه حتماً قلبها كافاً.

١٤ - وورد في ص ١٢٢ قول كاتب فاضل «وفي الديوان من التشبيه ما لم يعرف مثله لأبي العلاء، أو لم يؤلف في عهده كقوله :

ذوائبه مسك ثناياه لؤلؤ وخدته تبر والعدار زمرد

قلتُ أما أن ذلك لم يعرف مثله لأبي العلاء فصحيح وأما أنه لم يؤلف في عهده فغير صحيح ، قال أبو محمد الحسن بن علي المعروف بابن وكيع التنيسي الشاعر المتوفى سنة ٣٩٣ قبل وفاة المعري بأثنتين وأربعين سنة :

جوهرى الأوصاف بقصره كل فهم وكل ذهن دقيق

شارب من زمرد وثنايا لؤلؤ فوقه من عقيق

وذكر أبو اسحق الحصري آياتاً لبعض مشايخ القبروات ورواها عنه ، قال شمس الدين ابن خلكان : غالب ظني أنه [أبو] الحسن علي بن عبد الغني الحصري والآيات ١٠٠ رأيتها في بعض الجاميع منسوبة الى ابن الحجاج الشاعر المشهور وهي :

ومعذرين كأن نبت خدودهم أقلام مسك تستمد خلوقا

قرنوا البنفسج بالشقيق ونضروا تحت الزبرجد لؤلؤاً وعقيقا

فهم الذين اذا الخلي رأهم وجد الهوى بهم اليه طريقاً^(٢)

فهذه التشبيهات كانت مألوفة في زمان المعري ويضعف دليل الكاتب الفاضل من هذا الوجه .

١٥ - وورد في ص ١٣٠ « ذيل النفحة ونيل المنحة لمحمد بن السمان اوله : رب أوزعني ان اشكر نعمتك » قلت : وجدت في آخر النسخة التي في خزائني ما هذا نصه « تم بحمد الله تعالى ذيل النفحة ونيل المنحة لمولانا المرحوم المغفور له السيد محمد أمين افندي انجي ، جمع الأديب البارع الشيخ محمد المعروف بابن السمان

(١) ياقوت في معجم الأدباء « ج ٦ ص ٢٨٦ » (٢) الوفيات « ج ٢ ص ٥١٢ » من طبعة المعجم

«عني عنها»^(١) وفي ص ١٣٤ من نسختي أيضاً ما نصه «ولجامعه الفقير محمد بن السمان عفا عنه الرحيم الرحمن ...» فالتأليف للمحبي مؤلف خلاصة الأثر في اعيان القرن الحادي عشر ، والجمع لابن السمان المذكور .

١٦ - وورد في ص ١٤٣ «فوجدناها لا تتفق ونسبة هذه المذكرات» . والصواب «لا تتفق هي ونسبة» لأن الاسم الظاهر اذا عطف مرفوعاً على الضمير المستتر او المتصل ، وجب^(٢) تحقيق الضمير وتوكيده بلفظه او الفصل بين الفعل والظاهر بفصل انفي ، وشذ من هذه القاعدة ما يشده النحويون من الأبيات الغريبة منها :

زعم الأخطل من سفاهة رأيه ما لم يكن وأب له لينالا
وقوله آخر :

قلت : إذ أقبلت وهند شهادي [كنعاج الفلا تعسف رمل
ولا يجوز ان يجعل «نسبة» مفعولاً معه لأن الفعل «تتفق» مشترك لا يستغني
بمرفوع واحد .

١٧ - وجاء في ص ١٨٢ «تقويم الأبدان لابن جزلة كتب سنة ٥٢٩٧ هـ» . قلت : لعل في الرقم التاريخي خطأ مطبعياً فان ابا علي يحيى بن عيسى بن جزلة الحكيم الطبيب المستبصر في آخر عمره توفي في أواخر شعبان من سنة ٥٤٩٣ هـ^(٣) ، فلعل تاريخ كتابته سنة ٤٩٧ سبع وتسعين وأربعمائة ، او ما بعدها ، وجاء في الصفحة نفسها «منهاج البيان فيما يستعمله الانسان ليحيى بن عيسى الكاتب ٥٤٩٣ هـ في الطب» . وهو ابن جزلة نفسه وتاريخ وفاته صحيح .

(١) تراجع مجلة الجمع «مج ١٨ ص ٢٧٢ (٢) يجوز على مذهب الكوفيين وليس بشي لأنه ورد في الشعر حسب ولا عبرة به اذا خالف النثر ولغة القرآن (٣) شمس الدين ابن خلكان في الوفيات «ج ٢ ص ٢١٠» من طبعة المعجم . وأبو الفرج ابن الجوزي في «المنتظم ج ٩ ص ١١٩» ووثقهم في مختصر الدول لابن البري «ص ٣٣٩» طبعة البسويين وتاريخ الحكماء لافطحي «ص ٢٤٥» بجمل «الضمير» سجين أي بجمل وفاته سنة ٥٧٣ فليصح

١٨ - وجاء في حاشية ص ٢٠٢ ان خلافة الامام المقتني لأمر الله ابي عبد الله محمد المقتني لأمر الله العباسي ابتدأت من اليوم الثاني من ذي القعدة سنة ٥٣١ هـ . وفي ص ٢٠٩ من المقالة ان « أول خلافة المقتني بالله في سنة ثلاثين وخمسة » والصحيح ان بيعته كانت في يوم الأربعاء ثامن عشر ذي القعدة من سنة (٥٣٠ هـ) على ما ذكر ابن الجوزي وهو أعرف بها من غيره^(١)

١٩ - وفي ص ٢٠٣ س ١ « ولا تعول لدى معرفة عليه » والى صواب « لذي معرفة » بالدال المدجمة لا الدال المهجلة ، ومعناه ان « ذا المعرفة لا يعول عليه أبداً » .
٢٠ - وجاء في ص ٩٩ ذكر لأبي عبد الله محمد بن علي العظيمي المؤرخ الحلبي ، وتاريخ ولادته دون وفاته ، قلت : جاء في المجلد السادس من وفيات الأعيان لابن خلكان « ص ٣٢٠ » من طبعة الدكتور فريد الرفاعي سنة ١٩٣٦ م = ١٣٥٥ هـ ما هذا نصه « ذكر ابن العظيمي الحلبي في تاريخه ان الأمين ٠٠٠ » وفي الحاشية ما هذه صورته « هو محمد بن علي بن محمد ابو عبد الله التنوخي الحلبي ، ولد بحلب وكان إماماً شاعراً فصيحاً بليغاً ومن شعره : يلقى العدى بجنان ليس يرعبه ٠٠٠ » وللد ابن العظيمي سنة ٤٨٣ هـ وتوفي حوالي سنة ٥٦٠ هـ احمد يوسف نجاشي وقال هذا الفاضل المعلق في المجلد الثاني ص ١٠٧ ما نصه « هو ابو عبد الله محمد بن علي بن محمد التنوخي الحلبي كان إماماً مؤرخاً وشاعراً بليغاً وأديباً واعياً توفي سنة ٤٨٤ هـ » يجعله سنة الولادة تاريخ الوفاة التقريبي الذي ادعاه ، وله فضل السبق على كل حال مع ما أتاه من الاخلال .

٢١ - وورد في ص ٢١٥ سؤال كاتب فاضل عن كتاب « الطرديات » لكشاجم أقائم هو بنفسه ام داخل في حيز كتاب « المصايد والمطاردة » ؟ قلت : يستدل بما اورده ابن خلكان في ترجمة ابن شرشير الأنباري انها كتاب واحد قال « ولابن شرشير أشعار كثيرة في جوارح الصيد وآلاته والصيد وما يتعلق بها كأنه

كان صاحب صيد وقد استشهد كشاجم بشعره في كتاب المصايد والمطارد في مواضع منها قصائد ومنها طردبات على أسلوب أبي نواس ومنها مقاطيع وقد أجاد في الكل فمن ذلك قوله طرده في وصف باز : لما تغرّى الليل عن أنباجه^(١) . . . »
فدخول الطردبات في المصايد والمطارد واضح في هذا النقل .

٢٢ - وورد في ص ٢٠٨ س ٦ « ومجموا ربعتها » والصواب « ربضا » بالضاد المعجمة ، وربض البلدة أو المدينة ما حوّلها من الأحيوية والبساتين ، هذا هو الأصل وورد في تاريخ الخطيب البغدادي ما يدل على أن أرباض مدينة السلام كانت في نجف سورها ومن محلاتها ، وفي المراسد « قيل الربض أساس المدينة ، بضم الراء وبالتحريك ما حوّلها وقال بعضهم هما لغتان »

٢٣ - وجاء في ص ٢١٦ « ونشر عن بعضها وصفاً مسهباً » وفي الجلة غلطان أولها استعمال الكاتب الفاضل « عن » مكان اللام . فانه يقال « هذا وصف له » لا وصف عنه والثاني استعماله « مسهباً » من دون صلته « فيه » فانه يقال « أسهب فيه »
٢٤ - وورد في ص ٢١٩ « وأبي طمحان والقني » . والصواب « وأبي الطمحان القيني » وهو حنظلة بن الشرقي ، وفيها أيضاً « وذئ الرمة محمد » والصواب « وذئ الرمة غيلان بن عقبة » وفيها « عبد الصمد بن المعزّل » والصواب « المعزّل »

٢٥ - وفي ص ٢٢١ « ولم يخصّ الكتاب للحيوان وحده » . والتصحيح « بالحيوان » يقال « خصّ الشيء بكذا وخصصته به » أما « خصّ » المتعدي في الظاهر فيحتاج الى مخصوص به مثل « اختصه » يقال « خصه بجائزة واختص فلاناً بجائزة »

٢٦ - وفيها أيضاً « ان من اسباب . . . هو خوفه » وهذا إضمار للظاهر قبل ذكره غير جائز . أبداً ، فهو يخالف للفصاحة ، فالصواب « ان من اسباب . . . خوفه »
٢٧ - وفي ص ٢٢٢ « في القرون الغائرة » . أراد بالغائرة « السالفة والماضية »

وهو ضد ما استعملته فيه فصحاء الأمة وعلماء الملة ، فالغاية للباقية من حاضرة ومستقبل ، وأما دعوى أنها من الأضداد فلا يعاج عليها ولا بلغت اليها لأن منشأ ذلك تصحيف حدث في العين المهملية ، فعدوها غيناً معجمة ، فالساقطة هي «الغاية» بالعين المهملية والباقية بالعين المعجمة أي «الغاية»

٢٨ - وفي ص ٢٤٢ «قلنا فليسبح لنا حضرته أن يخالفه في رأيه هذا» وهذا تعبير كسير لأن المخالف لا يطلب السماح ، ولا سماح في المخالفة ، فلا يقول أحد «ايذن لي في أن أعصيك» و«طب نفساً عما أنزكته» وليس هذا من باب التعكيس كقوله تعالى «فبشرهم بعذاب اليم»

٢٩ - وورد في ص ٢٥١ مانصه «أما وجود النون بين القاف والطاء عند الغربيين^(١) فأخوذة^(٢) من لغة للعرب الذين يحمون النون في بعض الأحيان فيقولون انجاص في إجاص و...» قلت : ليس هذا إفعاماً وإنما هو إبدال وله قاعدة مطردة القياس في باب الإبدال في العربية وهي أن العرب تستثقل الحرف الثاني المضعف في الكلمة ، فتبدل من أحد ضعفيه إما حرف علة وأحرف العلة أخف الحروف ، وأما نوناً وهي أخف الحروف بعد أحرف العلة ، وأما راء وهي تلي النون في السهولة ، فالنون في الانجاص والخرنوب والذرنوح والقنبرة والفتنطيسة ، عوض من الضعف المبدل منه^(٣)

٣٠ - وفي ص ٢٥٣ «لأنه لا يبقى نصراني» الا حضره وتقرب منه» وفي الحاشية «يمكن ان تكون (فيه) بمعنى تقرب الى الله فيه» . قلت : هذا صحيح يحتاج الى زيادة فيقال «بمعنى تقرب الى الله فيه بقربان» لئلا يفهم من التقرب معناه الحقيقي أو المجازي بغير القران الذي أريد هاهنا .

٣١ - وجاء في ص ٢٥٧ قول المأمون «لكم على حرومي أصحاب اخبار» بضم

(١) Contrée وما يأتاها في الإنكليزية واللاتينية واليونانية (٢) الدواب «فأوذ»

لأن الوجود مذكر والاخبار عنه لا عن النون ، ولو قال «فأما النون فأخوذة» لصح قوله ولله من غلط الطبع (٣) ويراجع كلامنا على [النوضي] في هذه المجلة ص ١٨ ص ٢٥ - ٢

الحاء والراء من «حرومي» والصواب «حرمي» بفتح الراء جمع حرمه ، أراد «نسائي» قال القيومي سيف المصباح «والحرمة» ايضاً المرأة والجمع محرم مثل غرفة و«غرف» وقال ابو سعيد اسحق بن خلف البهرائي يرثي ابنة اخيه :
قد كنت أخشى عليهما ان تقدمني الى الحمام فيبلي وجههما العدم
فالآن نمت فلا هم يؤرقني بهذا الغيور اذا ما أدوت الحرم^(١)

٣٢ - وجاء في ص ٢٦٦ «وقال التتوخي حضرت بغداد مجلس الملك عضد الدولة في يوم عيد الفطر سنة سبع وعشرين وثلاثمائة والشعراء يشهدون الشاهي» . قلت : لعل الأصل «سبع وستين وثلاثمائة» لأن سنة ٣٢٧ لا توافق الحقيقة التاريخية ، وعضد الدولة لم يكن اميراً ببغداد قبل سنة ٣٦٧

٣٣ - وجاء في ص ٢٧٥ «ويسرنا ان نرى الأستاذ الفاضل حريص» . والصواب «حريصاً» ولعل الأصل «نرى أن الأستاذ حريص» فسقطت «أن» في الطبع ، لأن أسر الغلط هذا من البديهيات .

٣٤ - وجاء في ص ٤٠٢ ما نصه «فالعربية الأولى ٠٠٠ لم تعد فتش بحرف ما ثم عدتها الزمان بعن وفي وعلى ولهذا الحرف الأخير من المعاني المذكورة في كذب اللغة والنحو ما يماشي الفعل فتش يمشي معه» قلت : ان المعنى هو الباعث على التضمين^(٢) والتقدير في كل الأفعال ، ومبلغ الدلالة هو الموجب للايجاز أو التطويل ، فليست القضية سماعية بل هي قياسية ، لأن أصل العبارة «فتشت

(١) المبرد في السكامل [ج ٣ ص ٢٥٢] من طبعة الدجلوتي الأثري ، ولا تزال العامة في العراق يسمون المرأة «حرمة» (٢) ضمن [فتش] بمعنى [دور] و [دار] عليه وهو مولد ايضاً ، قال أبو زكريا يحيى بن سعيد بن الدهان ٥٩٩ - ٦١٦ :

نصرت الآن منعياً كأنني أظش في التراب على شياي

ولذلك وجب ذكر الفتحة المهدوة إذا نقل هذا الفعل الى [فاعل] قال تمام بن أنس النميري بصف الفراء [فجلست اليه ففانسته عن اللغة فوجدته بجرأ وفانسته عن النحو فشاهدته نسج وحده وعن الفقه فوجدته رجلاً قتيماً] [الوفيات ج ٢ ص ٣٧٠] من طبعة المجمع .

الدار عن الشيء^(١) فهي مفتوشة ، وفشتها عنه فهي مفتشة » فإذا دلت إحدى الفضلتين على المعنى المهم فمن البلاغة حذف الثانية ، فكذلك قيل « فشتت عن الشيء » والفضلة الثانية مقدرة بحسب طبيعة اللغة ، ومن أمثلة ذلك « دافعت عن البلاد وحافظت على المال ، وحاميتُ عنه وعليه وذبتُ عن العشيرة » والأصل دافعتُ العدو وحافظتُ غيري وحاميتُ الناهب وذبتُ الهاجم » وهذا يستوجب أن يكون « فشتت عنه » غير فقتشه وإن كانت المغايرة ناقصة لا قامة ، وأما افساء المعنى في مثل « فقتش » فهي « الفاتش » و « المفتوش » و « المفتوش عنه » وإذا كان المفتوش ظرف مكان جاز أن يقال « فقتش فيه » لأن الظرفية من ضروريات الكلام والأصل فيها الجر بالحرف ، أما النصب فهو حادث من حوادث الاختصار والابحاز

٣٥ - وجاء في ص ٤٠٦ « بل النسخة التي اختصها بنفسه » . ومعنى ذلك أنه ذهب لما نفسه وهو تعبير عجيب في غرابته ، لأن العاقل لا يهب نفسه لنسخة من مخطوط يباع ويشترى ، فالصواب - ولعله مراد الكاتب الفاضل - اختص نفسه بها »

٣٦ - وورد في ص ٤٠٨ من مقامات نثر الدين الجويني الحوئي « وزملكش وقواد » . وفي الحاشية ما نصه « كذا في الأصل وصوابه زملق ٠٠٠ وتري معناها في المعاجم والكلمة بذئبة » قلت : ومن بحث عن معناها لم يجدها بذئبة وإنما هي تعني حالة طبيعية في البدن ، أما كون أصل زملكش « زملقا » فبعيد عن الصواب ، والظاهر أن أصل زملكش هو « زمركش » اسم فاعل من زركش يزركش أي تبذل وغنى في الطرق أو فعل غير ذلك من الأفعال الدنيئة بحسب آراء المسلمين ، ونؤيد دعوانا بأن أبا منصور بن أبي بكر بن شجاع المعروف بابن نقطة الحنبلي المتوفى سنة ٥٩٧ هـ وصفه جماعة من المؤرخين بالزركش ، قال أبو شامة بعد ذكر أخيه عبد الغني بن أبي بكر الزاهد : وأخوه أبو منصور بن نقطة الزركش ، كان يفشد كان وكان في الأسواق ويسحر الناس في رمضان ، قيل له : ما تستحي ،

(١) أصول التاريخ والأدب [مج ٦ ص ٣٢٩] من مجاميع الخطبة .

أخوك زاهد العراق وانت تزكش في الأسواق فقال مواليا . . . « هذا ماورد في ذيل الروضتين لأبي شامة ومثله تقريباً في تاريخ الاسلام للذهبي ورسالة الزمان لسبط ابن الجوزي وله ترجمة مختصرة في الجامع المختصر لابن الساعي الخازن .
 ٣٧ - وورد في الصفحة عينها « وذهبي ومداد » فعلق عليه ناشره الفاضل « الذهبي المشتغل بالذهب » وهو تعريف حسير ، وفي أنساب السمعاني ان الذهبي هو الذي يفتن الذهب ويخلصه من الغش ، والذي يعمل خيوطاً من ذهب ^(١) وهذا التعريف خرج الصائغ والصيرفي والمستشير للذهب من معدنه واختص به صناع في دار الضرب والمعدون لغزل السقلاطون وغيره .

٣٨ - وجاء في ص ٤٠٩ « ومتوز ودهقان ونداف وقطان » وجاء في الحاشية تعليق عليه نصه كذا وردت في الأصل ولم نعرف الكلمة الأصلية التي صحت عندها ولعلها « مصور » لأن الكلمة التي تليها هي دهان ، فينسق المصور مع الدهان » اهـ .
 قلت : بل الظاهر انها « المزوق » اسم فاعل التزويق ، وهو مشهور معروف المعنى كما في أنساب السمعاني وأساس البلاغة .

٣٩ - وورد في ص ٤٢٣ « كتاب الدر الثمين في سيرة نور الدين : نور الدين زنكي » قلت : والصواب « نور الدين ابن زنكي » لأنه محمود بن زنكي الملقب بنور الدين ولعل هذا من غلط الطباعة .

٤٠ - وأشر في ص ٤١٧ وما يليها مقال جامع في كتب الحسبة والتبذ المؤلف قديماً فيها والمؤلفة حديثاً ، قلت : يجد الباحث في كتاب « تلخيص مجمع الالقب » لابن الفوطي شيئاً من أخبار الحنسيين ونعت الحسبة ومن ذلك قول مؤلفه في أحدهم « علاء الدين أبو غنيد الله عبيد الله بن يحيى بن أبي القاسم المذاري الحنسي . كان فقيهاً عارفاً بأمور الحسبة ومراعاة العوام في المتاجر والصناعات ومنعهم من الغش والتدليس في سائر المعاملات وامتحانات المكاييل والاوزان وحياطتها من

(١) أصول التاريخ والأدب [مج ٦ ص ٢٢٩] من مجاميعنا المطبعة

التطفيف والنقصان ومن فعل شيئاً من ذلك كان بمثابة بغليظ العقوبة وله في ذلك السيرة العادلة^(١) . وجاء في هذه المقالة الجامعة (ص ٤٢٦) ذكر لكتاب كتبه رشيد الدين الوطواط في تقليد الحسبة ، وأحال فيه كاتبه على رسائل الوطواط . قلت : إن الكتاب نفسه قد أوردته ياقوت الحموي في ترجمة رشيد الدين المذكور قال « ومن انشائه أيضاً تقليد حسبة صدر عن ديوان خوارزم وهو : إن أولى الأمور بأن تصرف أئمة العناية الى ترتيب نظامه^(٢) . . . » وبينها فروق في الزيادة والنقصان وفي صور الألفاظ ومن الغريب ان الأستاذ سرغليوث المستشرق المشهور لم يكلف نفسه عناء المقابلة بين النصين مع حالته في الحاشية على رسائل الوطواط ، فمن ذلك ما ورد في معجم الأدباء^(٣) « وتقصّر المهم » وفي الأصل « تقصّر غايات المهم » وفي معجم الأدباء « ويتوقف عليه صلاح » وفي الأصل « يتعطف عليه »

٤١ - وفي ص ٤٢٩ كلمة موسومة بأسماء منتخبة لمسلمات حديثة جاء فيها ان الكيف وزان خبر هو الزنفلجة يكون فيها أداة الراعي ومتاعه . قال كاتبها الفاضل « فالكيف على هذا صالح لأن يطلق على محفظة الطبيب (جزدانه) الذي يضع فيه مقصه وسفرتة وأداته وما يحتاج اليه احتياجاً قريباً » . قلت : الكيف أداة من أدوات الراعي ، ومثله « الصفن » بالضم ، ففي مختار الصحاح أنه « خريطة » تكون للراعي فيها طعامه وزناده وما يحتاج اليه . وجاء في الصحاح أن هذا قول أبي عمرو لأن الصفن عند غيره مثل الركوة يتوضأ به أو وعاء من آدم مثل السفرة يستقى به . وفي مثل هذه المصطلحات يجب ان يرجع الى التاريخ قبل غيره فبسأل أولو العلم به هل كان أطباء الزمن القديم يتخذون جردانات ؟ وما اسم الواحد منها ؟ قلت إن المؤرخين كانوا يتساهلون في مثل ذلك وقد جاء في رسالة للإمام أبي عبد الله محمد بن يحيى بن فضال الشافعي مدرس النظامية والمستنصرية ودار الذهب والفضة ببغداد ، بعث بها إلى الخليفة الامام الناصر لدين الله أو الخليفة

الامام المستنصر بالله يشكو فيها اليه اهل الذمة ويقول فيها « ومنهم الاطباء أصحاب المكاسب الجزيلة ٠٠٠ يخرج الصبي منهم ولم يقرأ غير عشر مسائل حنين وخمس قوائم من تذكرة الكحالين وقد تقمص ولبس العمامة الكبيرة وجلس في مقاعد الأسواق والشوارع على دكة حتى يُعرف وبين يديه المكمة والمحددات بوذي هذا في بدنه ويجرب على ذا في عينه فيفتك من أول النهار الى آخره ويمضي آخر النهار الى منزله ومكتبه مملوءة قراصة ٠٠٠^(١) » فالظاهر ان كيس الطبيب هو « المكمة » ، مأخوذة من مكمة الدابة ، ومن الألفاظ المعربة « الحرمدان » ومعناها الشنطة العصرية وقد استعملت في النجوم الزاهرة قال « وعندما يعزلونه من الوزارة يصبح يأخذ غلامه الحرمدان خلفه ويروح بقعد في ديوان الانشاء^(٢) » وجاء في السلوك « واتفق أن الأمير طرناطي النائب وقع على جماعة من أصحاب مشكورة فأمرهم وفيهم حامل حرمدانه فوجد في الحرمدان كتباً من الأمراء^(٣) » ٤٢ - وجاء في ص ٤٣٠ « فالدينية وان كانت مولدة عراقية مستعملة منذ عصر الحريري » قلت أورد كاتبها الفاضل بيتاً لابن النكك استعمل فيه « الدينية » وهذا الشاعر كان معاصراً للمتنبى وقد هجاه ، فالدينية كانت مستعملة إذن منذ أوائل القرن الرابع والحريري أدرك أوائل القرن السادس .

٤٣ - ورد في ص ٤٣١ « السوائل الملتببة التي يقذف بها ايام الحرب » . قلت : الصواب « المائعات والموائع » لأن السيلان ليس بشرط أصلي في التسمية ولأن أكثر تلك الأشياء لا تسيل ، قال الشريف الرضي في قول الرسول ﷺ : « وبلى لأفئاع القول ما صورته » ٠٠٠ فشبّه - ع - آذانهم بالأفئاع التي يفرغ فيها صروب القول إفراغ المائعات^(٤) ولم يقل السائلات ولا السوائل مع أن الأفئاع لا يفرغ فيها إلا ما يسيل ويجري ، وذكر الامام الحافظ ابن عبد الهادي

(١) الحوادث الجامعة [ص ٦٦ - ٧] من طبعته له وهي طبعة رديئة داخلها الخلل من جهة المنطق على طبعها وهو أحد الكتبيين التجاريين يفتاد ، فانه تصرف في نقره وطبعه طبع الجرائد المصرية (٢) النجوم ج ٨ ص ٥٠ (٣) مج ١ ص ٩٧ وقد فسر طابو النجوم بالاستئانة بمجمع استنجاس وشرحه طابع النجوم بما ورد في مستدرك دووي (٤) المجازات النبوية ص ٢٩ طبعة مصر

المقدمي تواليف الامام العلامة الفقيه ابن تيمية ، وقال « وقواعد في المائعات والحياة وأحكامها »^(١) فهي في الفقه معروفة بالمائعات أيضاً ، والكتب المدرسية لا يستعمل فيها إلا « السوائل » وهو غلط مبين .

٤٤ - وورد في ص ٤٥٨ أن لباس أهل الأندلس في أيام الحزن هو البياض وفي ذلك يقول الحلواني : « لئن كان البياض لباس حزن ٠٠٠ » ، قلت : ذكر العلامة شمس الدين ابن خلكان البيهقي المذكورين في الأصل - اعني ص ٤٥٨ - في ترجمة أبي الحسن علي بن عبد الغني الحصري القيرواني قال « وقال في لباس أهل الأندلس البياض عند الحزن على الميت ويقال انهم امتسوا ذلك من عهد الأمويين قصداً لخلافة بني العباس في السواد : إذا كان البياض لباس حزن ٠٠٠ » ، ونود هاهنا ان نذكر أن العباسيين جعلوا السواد لباسهم المعتاد واتخذوا البياض لآيام الحزن فقط - كما كان يفعل أهل الأندلس ، قال الشيخ المؤرخ المقرئ أبو عبد الله بن الديلمي في ترجمة أبي داود سليمان بن ارسلان « ولما افضت الخلافة الى سيدنا ومولانا المفترض الطاعة علي كافة الأنام ابي العباس احمد الناصر لدين الله أمير المؤمنين - خلد الله ملكه - شرفه بتوليته النيابة بدبوان المجلس ٠٠٠ وخلع عليه بالتاج الشريف جبة ابريسم بيضاء مصمتة وبقيار قصب أبيض لأجل العزاء بالامام المستضيء بأمر الله - رض - ٠٠٠ »^(٢) ، وقال الشيخ الأديب الكبير صلاح الدين الصفدي في ترجمة سلجوقي خاقان بنت فليج ارسلان بن مسعود السلجوقية والأمور التي حدثت لوفاتها « ورُفعت العذر والطرحات ولبسوا الأبيض ورُفعت البسملة ووضعت على رؤس الخدام » ، ذكر ذلك في الوافي بالوفيات ، وهذا يوضح ما ورد في الحوادث الجامعة « ص ١٧٢ » من أن الزعماء ركبوا بالأقبية البيض وأرباب الدولة كل واحد منهم بقميص أبيض وبقيار في ليلة الجمعة الحادي عشر من شعبان : ليلة نقل جثة الامام المستنصر بالله العباسي من الدار المثمنة بدار الخلافة من الجانب الشرقي ببغداد الى مقبرة الخلفاء العباسيين في محلة

(١) العقود الدرية في مناقب شيخ الاسلام ابن تيمية ص ٢٥

(٢) أصول التاريخ والأدب مج ٣٠ ص ١٨٩ ، من مجموعتنا المطبوعة

الرُصافة قرب محلة الامام أبي حنيفة النعمان بن ثابت المعروفة اليوم بالأعظمية وقديماً بمقبرة الخيزران زوج الخليفة المهدي بن المنصور .

٤٥ - وجاء في ص ٤٥٩ « وكلا الناقل والمنقول عنه يُبدع الابداع كله »
قلت : والفصيح « والناقل والمنقول كلاهما » و « وكلا الرجلين الناقل والمنقول عنه . . . »
إذ لم يكن من الفصيح اضافة « كلا » إلى المفرد وكذلك الأمر في « كتنا »
٤٦ - وجاء في ص ٤٧٠ ان بنفشاً الرومية جارية الامام المستضيء بأمر الله العباسي توفيت يوم الجمعة في ١٩ ربيع الأول سنة ٣٩٩ هـ . قلت : وفي التاريخ خطأ عظيم صوابه سنة ٥٩٨ هـ قال الامام ابو المظفر سبط ابن الجوزي في وفيات سنة ٥٩٨ هـ وفيها توفيت بنفشاً بنت عبد الله جارية المستضيء كانت كريمة سالحة . ولما توفيت تولت أمرها والدة الخليفة [الناصر لدين الله] وجيزتها احسن جهاز ودفنتها في تربتها المجاورة لمعروف الكرخي وذلك في ربيع الأول^(١) .
وكنّت ذكرت أن « التربة باقية الى اليوم بقيتها المخروطة وتعرف بقبة الست زبيدة » في الجانب الغربي من بغداد ، وقال ابن الساعي في وفيات سنة ٥٩٨ هـ :
« الجهة^(٢) بنفشاً بنت عبد الله التركية الجنس » عتاقة الامام المستضيء بأمر الله - رض - كان لها بر ومعروف وصدقة جارية وقفت مدرسة بباب الأرج على دجلة على فقهاء الخنابلة ووقفت عليها قرية وأمرت بعمل جسر على دجلة ، ولها بطريق مكة آثار جميلة توفيت يوم الجمعة تاسع عشرين شهر ربيع الأول من سنة ثمان وتسعين المذكورة وصلي عليها بالجانب الغربي عند التربة المجاورة لقبر معروف الكرخي - رحمه الله عليه - ودفنت بها^(٣) .

وذكر وفاتها في التاريخ المذكور شمس الدين الذهبي في تاريخ الاسلام وابوشامة في ذيل الروضتين وابن الأثير في الكامل ، الا أن لفظة « المستضيء » في الطبعة المصرية تصحفت الى « المستنصر » فصارت « جارية المستنصر » وذلك خطأ واضح .
ولها ولمدرستها التي درس فيها ابن الجوزي أخبار جميلة لا محل لها هنا .

(١) امرأة الزمان مختصر المجلد الثامن ص ٣٣١ - ٣ طبعة شيكاغو (٢) الجهة هي حرمه العظيمة والسلاطين والملوك الكبار (٣) الجامع المختصر ج ٩ ص ٨٨ - ٩ من طبعة تاهومي الأولى

٤٧ - وجاء في ص ٣٣١ « كتاب روضة البلاغة لأبي الحسن عبد الملك بن محمد . هو مخطوط بدار الكتب المصرية ، رقمه ١٤٨ أدب » قلت : الذي أطلقه من أسماء الرجال « أبو الحسن محمد بن عبد الملك بن إبراهيم الهمداني أحد المؤلفين المشاهير والمؤرخين البارعين ، وله عدة كتب ذكر منها الحاجي خليفة في كشف الظنون ، وتوفي سنة ٥٢١ هـ في تاريخ المنتظم لأبي الفرج ابن الجوزي « ج ١٠ ص ٨ » وكامل ابن الأثير في وفيات تلك السنة ، والظاهر لنا أنه مؤلف روضة البلاغة إلا أن اسمه تصحف ، وصعب بذلك تاريخ وفاته

٤٨ - وجاء في ص ٣٢٦ « سمع المأمون يقول كان لي خراساني يوماً عجيباً « كذا » وأولاني الله فيه بلسانه ^(١) الجميل وذلك ١٠٠٠ » قلت : الظاهر أن الأصل هو « كان لي بخراسان يوم عجيب وأولاني الله فيه بمسائه الجميل » ، أراد أن النهار كان مشوئماً عليه فأولاه الله تعالى الجميل في المساء

٤٩ - وفي ص ٣٢٨ قول هازل متنادر « لا أعرف لك عملاً أولى بك من بريدات البحر وصدقات الوحش » . قلت : الصحيح « بريدات » جمع بزند على وزن مَرَحَس وهو الجسر -- على ما يظهر لي من الأخبار -- ، فما أقله هلال في تاريخه للوزراء قول أحدهم « وقد تروى للنفقة على بزند من بريدات نهر الرهيل ثلاثون ديناراً فلم يُطلقها وقال : نفقة هذا البزند واجبة على صاحب الضيعة ^(٢) » ، وقد كرّر هذا اللفظ غير مرة ، وقد جاء في أخبار هلال ما هذا نصه « يامعاشر الناس اجتزت الساعة على جسر فارون وهو بزند من البزندات ، وتسمى البزندات بمصر جسوراً ^(٣) » وجاء في أحد الكتب « قال أبو الوفاء البوزجاني : المساحة تنقسم إلى ثلاثة أقسام : بسيط وأجسام وأبعاد ١٠٠٠ والجسم مثل الأنهار والبرك والآبار والأحواض والبزندات ١٠٠٠ ^(٤) »

الدكتور مصطفى جواد

(بغداد)

يقبع :

(١) وهذه العبارة تستوجب « كذا » كذلك (٢) تحفة الاسراء في تاريخ الوزراء ص ٢٥٧

(٣) المرحم المذكور ص ٣٢٠ (٤) الحاوي في أعمال المتصرفين ، مؤلف مجهول ،

رقم ٢٦٦٢ من هريات دار الكتب الوطنية بباريس [الورقة ٢٢٩]

فهرس الجزء التاسع والعاشر من المجلد الحادي والعشرين

الصفحة

| | | | |
|-----|---------------------------------------|-------|-----------------------|
| ٣٨٥ | المؤلفون في مصر | • • • | للأستاذ محمد كرم دعلي |
| ٣٩٤ | الغزالي وزعماء الفلاسفة | • • | للدكتور جميل صليبا |
| ٤٠٤ | آل إكسكتكين - مظفر الدين كوكبري | • | للأستاذ عباس العزاوي |
| ٤١٩ | عقدانكاح' كتبنا في أواخر القرن الثامن | • | عبد الله مخلص |
| ٤٢٧ | الطرافة والابتنال في الأدب العربي | • | ادوار مرقص |
| ٤٣٦ | على هامش النثر الفني | • • | أحمد صقر |

مخطوطات و مطبوعات

| | | |
|----------------------------|-----|------------------------------|
| للأستاذ محمد كرد علي | ٤٤٢ | الذخيرة في محاسن أهل الجزيرة |
| للدكتور جميل صليبا | ٤٤٤ | علم الاجتماع الديني |
| للأستاذ عبد القادر المغربي | ٤٤٦ | أفئدة الحب |
| للأستاذ محمد بهجة البيطار | ٤٤٩ | مجمع البيان في تفسير القرآن |
| للأستاذ جورج حداد | ٤٥٢ | عبد الله فكري |
| للأستاذ محمد بهجة البيطار | ٤٥٥ | من عبقریات نساء القرن (١٩) |
| للأستاذ محمد بهجة البيطار | ٤٥٦ | ضوء في تاريخ التوحيد |
| للأستاذ محمد بهجة البيطار | ٤٥٩ | مختصر تاريخ الحضارة العربية |
| للأستاذ محمد بهجة البيطار | ٤٦١ | الدليل البريطاني لعام ١٩٤٥ |

آراء وأبناء

٤٦٣ ملاحظات لغوية للأ مير مصطفى الشهابي .
٤٦٥ التنبيه والتوجيه (٣) للدكتور مصطفى جواد .